سقراط فيلسوف النقد

بقلم

د. وداد أبو النجا عجيزة(*)

مدخـــل :

سقراط فيلسوف أثينى (٤٦٩ – ٣٩٩ ق. م) أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأحالها من نظريات عن الطبيعة إلى بحث فى الأخلاق وشارك معاصريه من السوفسطائيين فى الاهتمام بالمسائل العملية، لا سيما مسائل التربية، غير أنه تشكك فى زعمهم بقدرتهم على تعليم الفضيلة، ولقد أبدى هو نفسه اهتمامًا خاصًّا بمناقشة التربية الأخلاقية والشخصية الأخلاقية.

ويشكل سقراط علامة فارقة فى تاريخ الفكر الفلسفى فهو على مستوى الفكر العالمى يعد من أعظم الحكماء القدامى لذا يظـــل لغزًا محيرًا لا نعرف عنه الكثير. أما على مستوى الفلسفة اليونانية فإنه يؤرخ به ما قبله وما بعده.

وعلى الرغم من أن سقراط نفسه لم يترك أثرًا مكتوبًا، فقد جعله أتباعه موضوعًا فريدًا لما يسمى بالحوار السقراطى. فقد كرس حياته لتعليم الناس الفضيلة ومعرفة الخير قولاً وممارسةً وكان ينتقد اعتقادات العامة ولكنه لم يعتزل الناس، وكان خصمًا للأرستقراطية الأثينية فى الوقت الذى

(*) مدرس الفلسفة بكلية التربية – جامعة عين شمس.

لم يكف فيه عن انتقاداته للديموقراطية(*) فحياته وسيلة إيضاح للمعرفة والفضيلة.

وفى استطاعتنا دائمًا أن نلمح شخصية سقراط لكن من خلال عيون الآخرين فكانت فلسفته هى طريقته فى الحياة، وهى الحياة التى كان يحياها تبعًا لمبادئه الفلسفية والتى يرفض أن يتقاضى أجرًا على التعليم.

ولقد كان منهجه فى التهكم منهجًا نقديًا أصيلاً والذى يعبر عن فكرة الحوار مهما اختلفت معانيه، كما قد أثار بمنهجه التوليدى روح التفلسف، فدفع بالفلسفة دفعة رائدة، حتى اتجهت بعده الفلسفة إلى نفس الطريقة التى بدأها فى كثير من القضايا التى تشغل الإنسان وما تزال، وأصبحت مسائل المعرفة تبدأ من الاعتراف بالجهل بها.

ولقد حيرته عبارة كاهنة أثينا التى تقول: ليس هناك من هو أحكم من سقراط – فشعر أنه ينبغى عليه أن يعرف معناها فطاف يسأل الناس الذين كانوا يشتهرون بالحكمة فشعر أنه أحكم منهم لأنه لا يدعى أنه يعرف مـا لا يعرفه. ومن هنا فقد شعر أن فحصه للأفراد هو رسالة من السماء، كما كان يلهمه أيضًا صوت إلهى يحذره من الأفعال الخاطئة(١).

ومن هنا أصبحت فلسفة سقراط هى حياته، فاتسمت " بالنزعة النقدية" فهو الرجل الذى جرؤ على السؤال، فقد ظل ناقدًا لا يخشى السؤال ولا

(*) بدأت الديمقراطية عند اليونان، ولا تزال تحمل الكلمة الاشتقاق اللغوى الذى يدل على هـذا الأصل (Doms أى الشعب Kratia أى الحكم) وتعنى حرفيًا حكم الشعب كله. راجع د. إمام عبد الفتاح، مسيرة الديمقراطية، الكويت، دار الحكمة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠.

(1) - Thomas Moutner: Dictionary of Philosophy, Penguin. Books, s1997.

يخاف البحث، يخضع للقانون ولكنه يفكر فى مدى صحته، لا يسير فى ركب الجماهير ولا يتملقها مستقلاً برأيه فى زمن كان الناس يعظمون القديم ويتمسكون به ويقدسون التقاليد، ودفع بحياته فى سبيل دفاعه عن حرية الفكر ولذا ظل عبر العصور وسيظل فى كل عصر الشخصية الحية التى يحاول العلماء والمفكرون استجلاء معانيها مع فحص اتجاهاتها ومراميها، فلا يكادون يصلون إلا إلى نتائج من أفضل ما توصف به أنها قريبة إلى آرائه.

ولقد تعددت المصادر عن سقراط واختلفت بشأنه الآراء، لتسفر فى النهاية عن صورة لشخصية تستدعى النظر والدراسة خاصة ذلك الجانب النقدى الذى لم ينل حظه من الاهتمام. هذا فضلاً عما نستشعره من آراء إيجابية لسقراط يمكن استخراجها على ضوء الانتقادات التى كان يوجهها إلى عامة الأثينيين ليحثهم على فحص أنفسهم وفحص مجتمعه ومدينته حيث كان سقراط كما يصوره أفلاطون معنيًّا بالبحث عن الحقيقة والماهيات، حتى كان لاكتشافه للحد والماهية أثرًا عظيمًا فى تاريخ الفلسفة خاصة على أفلاطون وأرسطو حتى عُد مؤسسًا لفلسفة المعانى، وبوجهة نظره التى ترى أن من الضرورى أن تدار النظم السياسية من خلال خبراء يعرفون كيف تستخدم السلطة محققة منافع وغايات أخلاقية ويضعون نصب أعينهم تحقيق الخير والعدالة للناس[1].

---

(١) راجع: حسن جلال العروسى، مقدمة سقراط الذى جرؤ على النقد – تأليف كورامبسن – ترجمة محمود محمود. الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.

وأخيرًا فإن سقراط كان لا يعبأ بالموت ويتمسك بالحق دائمًا. فضحى بحياته فى سبيل المبادئ وكان قبوله للموت عنوانًا لاحترام القوانين.

مصادرنا عن سقراط :

١- محاورات أفلاطون.

٢- اكسينوفون أعماله عنه.

٣- أريستوفان "مسرحية السحب"[١].

٤- ملاحظات أرسطو عنه.

أما النقد فهو القدرة على كشف التناقضات وتجاوزها وبفضل قدرة العقل على النقد وتجاوز المنقود، تكون القدرة على إعادة ترتيب الواقع وتشكيله فى شكل عقلانى جديد فيكون بذلك إبداعًا غايته غاية الفلسفة، وهى دفع الواقع إلىالتطورعلى النحو الذى يريده الفيلسوف[٢].

وإن الشك هو الذى يدفع الفيلسوف إلى النقد، وأن النقد والتجاوز هو الأصل فى التراكم الإبداعى فى الفلسفة، ومن ثم فالنقد هو الأداة التى تطور المذاهب الفلسفية وغيرها بصفة دائمة.

فالنقد هو الفعل العقلى الثورى والإرادى الذى يغير كُلَّ ثابت، ويحرك كل ساكن، ويطور كل واقع من خلال شرعية عقلية ومنطقية تمكنه من أن يتجاوز ما هو قائم لبناء إبداع جديد، من حيث إن كل فلسفة تأخذ موقفًا نقديًا من الواقع، بكل مشكلاته وأزماته وأحداثه .

---

(1) Tomas Moutner , op . cit .

(٢) راجع: د. مراد وهبة، مدخل إلى التنوير، دار العالم الثالث، مصر، ١٩٩٤، ص ٦٧.

ومن هنا فإن البحث عن الحقيقة فى أى مجال سواء كان فى مجال الفلسفة والدين أو الفكر أو الواقع أو العلم يتطلب من الفيلسوف موقفًا نقديًا فى مجال بحثه.

ويتخذ النقد مسارات وأبعادًا كثيرة، ومهما تنوعت أبعاده ومجالاته إلا أنه يتمثل فى القدرة على كشف التناقضات وتجاوزها لتقديم الجديد دائمًا.

وقد كان موقف سقراط النقدى من فلسفات سابقيه ومعاصريه إما بمحاولة هدمها أو بإدخال عناصر جديدة عليها مع أخذه بطريقة لم يعهدها الأثينيون، كانت سببًا فى إثارة الثورة فى العقول[١] مما أدى إلى الحكم بإعدامه.

وتتضح النزعة العقلية فى فلسفة سقراط فى غلبة الجانب الأبولونى العقلى على الجانب الديونيسى الوجدانى، وهو ما نراه ماثلا فى أسلوب حياته[٢]. كما استعان سقراط فى منهجه النقدى بالوصف والتحليل الذاتى للآخر من خلال الأسئلة التى كان يطرحها على مستمعيه من أجل بيان فكر الآخر وتحليله ليتعرف على حقيقة نفسه ويقف على جوانبها[٣].

فالفلسفة تبدأ بمعرفة الذات لذاتها وأن موضوعها الأول يبدأ بمعرفة الذات من خلال الشعار السقراطى الذى اتخذه سقراط بداية لفلسفته من

---

(١) راجع د. أحمد فـؤاد الأهوانى – فجر الفلسفة اليونانية– قبل سقراط– دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – الطبعة الثالثة، ١٩٥٤، ص ٤ .

(٢) راجع د. أميرة مطر – الفلسفة اليونانية – تاريخها ومشكلاتها – دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ١٣٨.

(٣) راجع د. الصاوى أحمد، المنهج النقدى بين الفلسفة والدين – الجمعية الفلسفية المصرية – بحث ضمن العدد الحادى عشر ٢٠٠٢، ص ١٤٩ – ١٥١.

خلال هذا الشعار والذى انشطر به تاريخ الفلسفة الإغريقية إلى شطرين ما قبل سقراط وما بعده .

وتتضح لنا جوانب فلسفة سقراط من خلال النقد، الذى يشكل أحد فروع المعرفة لدى الفيلسوف، فمهما اختلفت تعريفات الفلاسفة الغربيين للذات أو فى وسائل معرفتها، إلا أن سقراط كان البداية التى أعطت للفكر الغربى وحدته، والتى أصبحت لا تعبر فقط عن الفكر اليونانى فحسب، بل وعن الفكر الغربى كله.

ومن خلال موقف سقراط النقدى كان موقفه من فلسفات سابقيه، حيث رفض أن ينقل إلى الأثينيين الأفكار والمذاهب التى نادى بها سابقوه، فكان يرى أن الفكر الإنسانى أكبر من أن يؤسس فى مدرسة فلسفية، ولذا خرج إلى الناس يجادلهم ويحاورهم ولكنه لا يعلم الناس أقوالاً موروثة ولا نصوصًا محفوظة ولذا لم يحرص على أن يترك لنا أثرًا مكتوبًا، حتى عده البعض واحدًا من السوفسطائيين ولكنه لم يكن سوفسطائيًا وإنما كان معلم فكر لا معلم بيان وإنه لم يتاجر بالكلمة أو يأخذ عليها أجرًا، فضلاً عن أنه كان عدوًا للسوفسطائيين وناقدًا عنيفًا بل إنه كان ينادى بمبادئ جديدة لم تعرفها السوفسطائية من قبل، وكان شعاره ليس قضية فلسفية فحسب، وإنما كان رسالة من الآلهة اندهش لها لكى يسير فى طريق الحكمة بمخاطرها ويشتغل بالفلسفة ليغوص فى أعماق الطبيعة البشرية والنفس الإنسانية فكان بذلك مجددًا.

سقراط والحياة اليومية :

لقد بدأ سقراط حياته وهو ما يقترب من الرابعة عشر من عمره حينما أخرجه والده من المدرسة ليتعلم مهنته ليبحث عن معانى الأشياء، ويعين من يراهم فى مثل سنه من الفتيان على التفكير.

وقد كان لنشأة سقراط أثرها فى تفكيره من حيث تقديره لقيمة المعرفة والمهارة التى تميز بهما عمل والده كنحات والذى كان يحذق الضرب بالمطرقة، ويحسن تناول الآلات. حينئذ سأل سقراط والده كيف عرف الطريقة التى يضع بها أزميله وإلى أى عمق يضربه فأجابه سفرنوكس قائلاً: "عليك بادئ ذى بدء أن ترى الأسد كامنًا فى الجحر، وتحس كأنه رابض هناك تحت السطح وعليك أن تطلق سراحه، وكلما أحسنت رؤية الأسد أحسنت معرفة أين وإلى أى عمق تشق الجحر"(١).

وهذا هو نفس الشىء الذى حدث بينه وبين ماوس فى مصنعه، فقد تولدت لديه فكرة كانت كامنة فجأة أحس سقراط أنه لم يفعل شيئًا سوى أنه أعان الفكرة على الانطلاق، وهكذا أثارت حياة سقراط تفكيره، وحيث رأى أن هناك الكثير من الأفكار تنتظر الانطلاق إذا ما وجدت من أعانها على ذلك، لو تعلم أن تسأل السؤال الصحيح لاستطاعت هذه الأفكار أن تتحرر. ومن ثم كان سقراط يستخرج من الأفكار الجديد.

---

(١) نقلاً عن: كورامیسن، سقراط، الرجل الذى جرؤ على النقد، ترجمة محمود محمود مقدمة من جلال العروسى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٦، ص ١٣.

وعن سقراط ومدينته، عندما بلغ العشرين من عمره يستمع إلى الناس ثم يتوجه إليهم بالسؤال فى كل المجالات وفى جميع الأمكنة والأوقات- وذلك مما لديه من استعداد شخصى وتطلع إلى المعرفة - فوجد أن كثيرًا من متحدثيه لا يعرفون كثيرًا عن حقيقة ما يقولون، فضلاً عن أن المتحدث كثيرًا ما تتناقض أقواله مع نفسه أو مع الآخرين.

وسار سقراط فى طريقته التى يضع فيها محدثيه فى حالة من الإرباك والاضطراب، كان لا ينتقل من سؤال إلى آخر إلا بعد أن يتيقن من جهله وإرباكه(١).

وكان سقراط دائم السخرية فقد امتدح أحد السوفسطائيين أثناء محاكمته (أمميوس) لأنه يعلم الفضيلة بأجر معقول فلا يتقاضى أكثر من خمسة دراهم.

واستمرارًا لسخريته ونقده للسوفسطائيين فقد طلب قبل رحيله راجيا من الناس أن يرهقوا أبناءه من بعده كما أرهقهم حينما بدا أنهم يؤثرون المال على الفضيلة، وجدوا فى أنفسهم العلم وهم جاهلون(٢).

يقول سقراط: "فأنا كما ترونني أسير وفقًا لما يرسمه لى الإله، أفتش عن الحكمة فى كل من يدعيها، لا أبالى أكان من أبناء الوطن أو غريبًا، فإن لم أجده كما ادعى، صارحته بجهله كما أمرتنى الراعية، ولقد انصرفت إلى هذا الواجب انصرافًا لم يبق لى معه من الوقت ما أبذله فيما يشغل بال

---

(١) نقلاً عن كوارميسن - مرجع سابق، ص ١٤.

(٢) راجع: براتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة د. زكى نجيب محمود، الكتاب الأول، الطبعة الثانية، لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٥٥.

العامة، أو أنفقه فى شئونى الخاصة، وهكذا كرست حياتى لله فعشت فقيرًا معدمًا"[١].

وتشير هذه الشذرة من محاورة الدفاع إلى أن سقراط كان مكلفا بتأدية رسالة مقدسة، ومعتقدًا بأن التفكير السليم أهم ما تحتاج إليه الحياة الصحيحة. ويرى أن الحياة التى لا يتم فحصها غير جديرة بأن يحياها الإنسان وغير خليقة بالرجال.

ولقد كانت حياة سقراط فى شغل مستمر وكان يسعى دائمًا لأن يضع فى المناصب الحكومية أكفأ الأشخاص، وكان يسأل أسئلة كهذه: "إذا أردت إصلاح حذائى فمن ذا الذى أستخدم من الناس؟ وينتقل سقراط إلى النجارين والحدادين وغيرهم، ويشير إلى ذلك سقراط فى محاورة الدفاع فيقول: "وأخيرًا قصدت إلى الصناع، وكذلك أظننى جاهلاً بما يتصل بالصناعة من علم، وكنت أحسب أن لدى هؤلاء الصناع مجموعة طريفة من المعارف، وقد ألقيتنى مصيبًا فيما ظننت، إذ كانوا يعلمون ما كنت أجهله، فكانوا فى ذلك أحكم بلا ريب، ولكنى رأيت حتى مهرة الصناع قد تردوا فيما تردى فيه الشعراء من خطأ، فتوهموا أنهم أكفاء فى صناعتهم فلا بد أن يكونوا ملمين بكل ضروب المعرفة السامية، فذهبت سيئة الغرور بحسنة الحكمة"[٢].

---

(١) أفلاطون، محاورة الدفاع، ترجمة د. زكى نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ ص٥٤.

(٢) أفلاطون، الدفاع، ترجمة د. زكى نجيب محمود، فى " محاورات أفلاطون " القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦، ص ٥٣.

لقد أنفق سقراط حياته ليؤدى رسالته فى أن يكشف حقيقة ما يدعى الناس لأنفسهم من حكمة، فضلاً عن تلك الرسالة المقدسة التى كلف بها وظهرت على محاورة الدفاع الطابع الدينى إذ يقول سقراط: "يأمرنى الله أن أؤدى رسالة الفيلسوف، التى هى البحث فى نفسى وفى سائر الناس ".

ويؤكد سقراط أنه لن يتخلىعن رسالته فى فحص نفسه وفحص الناس، لن يكف عن ممارسة الفلسفة وتعاليمها.

صادف سقراط شابًا يريد أن يكون قائدًا، فأقنعه بأن من الخير له أن يلم بشئ من فن القتال، واقتنع الشاب بنصحه، وقصد إلى حيث درس شوطا قصيرًا فى ذلك الفن.

وكذلك جعل شابًا يدرس مبادئ الشئون المالية، وحاول أن يصنع ذلك مع أناس آخرين[١]، فأخذ يتنقل بين الناس ويطوف بمعتقداتهم، ويخزهم بالأسئلة ويطلب منهم إجابات دقيقة ومحددة، وآراء غير متناقضة، يترك محدثه الذى لا يستطيع أن يتحدث معه حديثًا واضحًا فى حالة من الإرباك والرعب، خاصة وأن سقراط كان يعتقد أن الآلهة قد أمرته أن يبحث عن الحكمة كما كلفته برسالة.

ومن هنا حيرته عبارة كاهنة دلفى[٢] التى تقول: " ليس هناك من هو أحكم من سقراط" فشعر أنه ينبغى عليه أن يعرف معناها، فراح يسأل الناس الذين كانوا يشتهرون بالحكمة، فشعر أنه بالفعل أحكم منهم لأنه لا يدعى

---

(١) راجع: رسل، مرجع سابق، ص ١٤٤ – ١٤٥.

(٢) دلفى: موقع معبد أبوللو وكاهنته ويقع فى أعلى التلال شمال وغرب أثينا، أما أبوللو فقد كان إلها يعرف الماضى والحاضر والمستقبل، كما كان يعرف الصدق .

أنه يعرف ما لا يعرفه، ومن ثم فقد شعر أن فحصه للأفراد هو رسالة من السماء[١]. وترتب عليها من أنه كان من أهل الحكمة ومن يدعيها.

وشرع فى تلك اللحظة القيام بذلك الواجب العملى الذى يتحدد فى ضرورة أن تكون الأفكار غير مبهمة ولذا نراه يتحدث عن نفسه من وقت إلى آخر فيما يهم البشرية فى ضوء ما يتفق مع العقل وما لا يتفق معه، وعن ماهية الحكومة التى تسيطر على الناس، وعن صفات الرجل البارع فى حكمه، فضلاً عن موضوعات أخرى يرى ضرورة العلم بها وأن الجاهل بها يعد من طبقة العبيد".

النزعة النقدية قبل سقراط :

إن النقد عند اليونانيين السابقين على سقراط لم يكن ميسورا نظرا لأنه يحتاج إلى تراكم من المعلومات العلمية، فضلاً عن تجربة روحية يخلقها الدين، وهو ما لم يكن متاحًا من قبل.

ولذا لم يطرح الفلاسفة الطبيعيون "المشكلة النقدية" مكتفين فى ذلك بزهوة الاكتشاف، ولافتراضهم أننا نستطيع أن نعرف الأشياء كما هى عليه. ومع ذلك عارض طاليس ومعه الفلاسفة الطبيعيون الدين الأسطورى معتمدين عليه من جهة، والدين السياسى أيضًا وما فيه من أعياد وعبادات من جهة أخرى، حيث بدأ الدين الطبيعى فى الظهور مع ظهور الفلاسفة ونشأة الفلسفة[٢].

---

(1) Thomas Moutner , Ibid .

(٢) راجع د. أحمد الأهوانى، مرجع سابق، ص ٢١.

أما هيرقليطس فنقد ما انتهى إليه فلاسفة المدرسة الأيونية من تناقض، إذ يرى أن الأشياء فى تغير دائم وسيلان مستمر، فلا شىء ثابت، ولا شىء يستقر فالأشياء فى صيرورة متصلة، غير أنه يعود متجاوزًا ذلك بقوله: "إن جميع الأشياء ترجع فى النهاية إلى أصل واحد، فالعالم كل واحد نار حية وسيلان أبدى، تشتعل بحساب وتخبو بحساب أى بمقاييس منتظمة فالحركة مستمرة والتناقض قائم مصدرًا للحركة[1].

كذلك يرى هيرقليطس أن الحكيم هو الذى يبحث فى أشياء كثيرة، لينفذ إلى معرفة قانون الأشياء أو اللوجوس Logos، وهو القانون الذى يعرفه هيرقليطس وحده دون أحد غيره، ولذلك فإن فيثاغورس وزينوفان وهيكاتايوس لم يكونوا حكماء بهذا المعنى.

هذا ولم يسلم العامة من جمهور المتعلمين على يد هؤلاء من النقد ولذا يصفهم هيرقليطس بأحقر الصفات وأشدها ازدراء فهم يسيرون كالأنعام خلف أصحاب الشهرة، لا يفهمون ما يقع تحت بصرهم، ويقلدون العامة، ويتبعون الشعراء، بل فضلاً عن ذلك ليس لديهم عقل أو حكمة من حيث إن الحكيم يفضل الآلاف، كما نقد الموقف السياسى السلبى لمواطنيه الذى أدى إلى نفى أفضل أبناء المدينة.

ويمكن القول إن هيرقليطس وجه نقدًا لاذعًا إلى رجال الدين والشعراء والفلاسفة وإلى المجتمع الذى يسير كالأغنام خلف هؤلاء بعيدًا

---

(١) راجع: فليب ويلرايت، هيراقليطس، ترجمة عبده الراجحى، ضمن كتاب هيرقليطس فيلسوف التغير، د. على النشار دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٣٩.

عن طريق الحكمة من حيث إنه لا يكبح جماح نفسه ويسير وراء شهواته معتمدًا على الظاهر بعيدًا عن الحقيقة ولذلك يدعوهم هيرقليطس إلى الاستماع إلى كلمته التى تدل على أن جميع الأشياء واحدة والتى وصل إليها عن طريق الإلهام ليوقظ الناس من غفلتهم، وهنا يلتمس كل من هيرقليطس وسقراط الطريق لمعرفة الحق بفضل الوحى الإلهى الذى كانت تنطق به الكاهنة حيث كان سقراط، أنه كان يغيب عن الوعى ليستمع إلى هاتف داخلى يسمى ديمون Demon، وبذلك اتفقت غاية كل منهما فى الكشف عن الحقيقة. إذ يريد كل من هيرقليطس وسقراط ألا ينساق الناس وراء كلمتهما انسياقًا أعمى بل عليهم أن يبحثوا عن الكلمة وهم لا بد واصلون لأنها واحدة بالضرورة[1].

نقد هيرقليطس العامة من السابقين عليه لاحتقاره لهم وذلك لمعرفته بآرائهم وعلمه بمذاهبهم. ولذلك وصف جمهور المتعلمين من الشعراء والفلاسفة ورجال الدين بعدم إلمامهم بالأمور ومسيارتهم للعامة وانسياقهم وراء الشعراء بدون عقل أو حكمة.

وهكذا حمل على رجال الدين والشعراء والفلاسفة حملة شعواء وذلك لأثرهم وعلمهم القبيح فى تعليم الناس ونقد جميع النحل الدينية خاصة أتباع ديونيسوس، الذين كانوا يقعون فى كثير من المهازل باسم الدين حيث كان الشعب يخرج عن وعيه فى الاحتفالات التى كانوا يقيمونها فى عيد الإله ديونيسوس، وأيضًا أصحاب العبادات السرية والذى كان يناديهم بالسحرة

---

(١) راجع د.أحمد الأهوانى، مرجع سابق، ص ١١٦.

وينعت أسرارهم بأنها غير مقدسة، وعبادتهم للأصنام التى لا تتكلم ولا تسمع، كما كان يزدرى الطهارة التى كانت لا تؤدى إلى التطهير بل إلى التلطيخ.

وكان أيضًا أشد هجومًا على الشعراء لأنهم كانوا لا يصلون إلى الحقيقة الباطنة بل كانوا يأخذون بالظاهر.

كما نقد الفلاسفة نقدًا لاذعًا لكونهم لا يفهمون ما يعلمونه للناس، حتى مع أنهم يحفظون الكثير من الأشياء.

وعن برمنيدس فإنه يكشف عن التناقض القائم فى مفهوم التغير ليبرر أن الوجود موجود ثابت لا يتغير[١] ولذا آثر اليقين العقلى رافضًا الكثرة والتغير باعتبارهما وهمًا وظنًا لذلك نراه يهاجم فلسفة هيرقليطس وغيره من أصحاب الفلسفات المادية فيصفهم بالذين تضل عقولهم فلا يميزون بين أن الوجود موجود، واللاوجود موجود، وأن الوجود واللاوجود شىء واحد، وإلى أن كل شىء يتجه فى اتجاهات متضادة[٢]. ولقد رفض برمنيدس كل المذاهب التى نادت بالتغير وأقرت الكثرة والتعدد فى الوجود حتى انتفت عنه صفة الوحدة[٣]. كما رفض الفكر المنطقى كل الافتراضات التى وجدت مع المذاهب الأخرى فى القرن السادس قبل الميلاد، وعارض المتضادات التى اشتقت من الازدواجية الأولية داخل هذا العالم الحار والبارد والهواء

---

(١) راجع يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٩.

(٢) راجع، المرجع السابق، ص ١٣١.

(3) Cornford. Plato and Parmenides , London. 1939. p. 28.

والنور والظلام، وذهب Kirk &Raven[1] إلى أن قصيدة برمنيدس جاءت ردًّا معارضًا لفلسفة هيرقليطس والفيثاغورية معًا، امتد نقده ليشمل كل الفلاسفة القائلين بالتغير كالفلاسفة الطبيعيين أو هؤلاء الذين أسماهم الفلاسفة العلمانيين Layme[2].

ولكن السوفسطائيين أخذوا موقفًا نقديًّا من التراث فقد أرجعوا القيم جميعًا سواء منها القيم الأخلاقية أو الفنية إلى المصدر الإنسانى من حيث إن القيم تتغير بتغير الظروف. كما هاجموا القيم المتوارثة واندفعوا عكس سقراط إلى تأييد الاتجاه الجديد إلى التغيير والتطور فى كل مجالات الحياة أو أنحائها، وقد بين بروتاجوراس أن المفاهيم عن العدالة والحق والخير والجمال ليست ثابتة ولا هى مطلقة ولا ترجع إلى أى مصدر إلهى وإنما مصدرها اتفاق الناس ومواضعاتهم، وقد صاحب هذه الحركة الجديدة فى الفكر تجديد شامل فى الفنون الأدبية والتشكيلية[3]. ويكشف السوفسطائيون التناقض بين التغير عند هيرقليطس والثبات عند برمنيدس وغيره من الافتراضات التى قدموها عن نزعة شكية فى إمكانية المعرفة اليقينية[4] بالنسبة للطبيعة الخارجية حتى أصبحت الحقيقة موضعًا للشك وبالتالى فلا وجود لحقيقة كلية أو مطلقة.

---

(1) Kirk & Raven . The presocratic philosophers , A selection of texts , Cambridge University 1969 , p. 268 .

(2) allen studies in the presocratic philosophy p.21.

(٣) راجع د. أميرة مطر – محاورات ونصوص لأفلاطون، د. فايدروس – ثياتيتوس – دار المعارف، الطبعة الأولى K hgrhivm، ١٩٨٦، ص٥ .

(٤) راجع: فردريك كوبلستون – تاريخ الفلسفة – المجلد الأول – ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام – المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص ١٣٥.

كما وجه السوفسطائيون انتقاداتهم ضد تقديس الأوائل للطبيعة الخارجية ومن ثم بدأت عنايتهم بالإنسان[١]. وبذلك كان اختلاف السوفسطائيين عن السابقين فلسفة السوفسطائيين حضارة لا طبيعة، فموضوعا الإنسان وحضارته وليس الطبيعة فى الموضوع والمنهج والغاية، فهى تعنى بالإنسان وبالعادات والتقاليد، كما كان لهم منهج مختلف حيث استخدموا منهجا تجريبيا استقرائيا حاولوا من خلاله جمع أعظم قدر من المعرفة بملاحظة أخلاق الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم، وهذا المنهج يختلف عن المنهج القياسى الذى سار عليه الفلاسفة الطبيعيون الذى يستخلص النتائج من المبادئ التى يفترضونها.

كما اختلفت السوفسطائية عن سابقيها فى الهدف أو الغاية أيضًا، حيث كانت غاية السوفسطائيين عملية، أما فلاسفة الطبيعة فكانت غايتهم المعرفة لذاتها ومن ثم كان بحثهم نظريًا[٢]. كما اختلف الجدل عند السوفسطائيين عنه عند زينون حيث يتخذ الجدل بدءًا من السوفسطائيين وسقراط طريق الحوار الشفاهى، وهو ما لم يكن جليًا عند زينون من حيث أصبح الجدل وسيلة لبيان مفاهيم إنسانية وتصورات تتصل بالعلم والأخلاق والآداب، مع بيان السوفسطائية للصفة الذاتية للمعرفة.

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٨٤٦ ص ٤٩.

(٢) راجع: د. أحمد الأهوانى، مرجع سابق، ص ٢٥٩.

النقد عند سقراط

أولاً : أصالة المنهج السقراطى:

سقراط هو الفيلسوف المنهجى الأول الذى أرد أن يلتمس للمعرفة الإنسانية سواء السبيل فلا تضل ولا تخطئ حتى احتل مكانته الرئيسية فى الفكر اليونانى بفضل منهجه النقدى قبل أى شىء آخر، ولا نزال حتى اليوم نصف بعض الاتجاهات الفكرية بأنها "جدلية" وهى كلمة تشير إشارة صريحة إلى المنهج السقراطى الذى أطلق عليه سقراط اسم الديالكتيك(*) Dialectics وهى كلمة معناها المحاورة أو المناقشة لأن فيها ما يكون فى الحوار من أخذ ورد (١).

هذا، ويشير رسل إلى أن زينون قد سبق سقراط فى استخدام نفس طريقة الجدل التى تقوم على السؤال والجواب كما كان يستخدم فى جدله الطريقة التى كان يعامل بها سقراط محاوريه، وكان زينون يستخدم فى جدله نفس الطريقة التى كان يعامل بها سقراط محاوره(٢).

ولذلك لا نجد لسقراط نظرية فى تفسير الوجود، كما لا نجد لديه أيضا نسقا مذهبيا متكاملاً فى الأخلاق، حيث كانت فلسفته حوارًا مع الآخر وليست بالتحديد تأملاً للذات لذاتها، بل كان الغرض منها معرفة كل ذات على حقيقتها. مهما تجاوز الفرد إلى الآخرين فكانت بذلك دعوة للجميع إلى

(*) فن الديالكتيك: يسمى فى اللغة اليونانية فن الجدل والمناقشة التى تهدف إلى كشف الحقيقة.

(١) راجع د. زكى نجيب محمود – نحو فلسفة علمية – مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص١.

(٢) رسل، مرجع سابق، ص ١٥٧.

الفكر والفلسفة، فخرج فى الأسواق والشوارع ... وغيرها، خلافًا للفلاسفة السابقين عليه التى كانت عرضًا ذاتيًا لآراء الفلاسفة عن الحقيقة والوجود.

كما نجد لسقراط منهجًا فريدًا أفاد به غيره حتى فاق منهجه مذهبه. الذى استعان به فى تفسير الحقيقة خاصة فيما يختص بحقيقة الإنسان والوصول إلى معرفته التى يعتمد فيها على العقل فى فهمه وتوجيهه إلى معرفة الحكمة والفضيلة.

ولقد اتخذ سقراط منهجًا جديدًا فى البحث والفلسفة أفاد به الآخرين غير أنه أثار عليه غضب الخطباء، والشعراء، والسياسيين، وغيرهم ممن كانوا يستهدفهم فى جدله والذى قدمه فى مرحلتين: التهكم والتوليد.

أما منهجه فى البحث فقدمه فى مرحلتين التهكم والتوليد، التهكم لسقراط: ادعاء الجهل أثناء النقاش (الحوار)، تزييف لكى يتقدم نحو اكتشاف الحقيقة.

المرحلة الأولى: التهكم السقراطى:

أما التهكم السقراطى وهو السؤال مع ادعاء الجهل أثناء النقاش (حوار)، تزييف لكى يتقدم نحو اكتشاف الحقيقة[1]. والذى كان يهدف منه إلى أن يهدم المعرفة الظاهرة، المنسوجة من ظنون وأحكام مسبقة والمدثرة بالسفسطة والخطاب الديمايموجى، ليحل محلها معرفة بالنفس مستمدة من الذات، وهو ما أدى به إلى الإعدام[2].

---

(1) Thomas Mautner , Ibid .

(٢) راجع: جورج طرابيش – معجم الفلاسفة – دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى، ١٩٨٧ ، ص ٣٣٦ .

إن الخطوط الأساسية فى النقد هى "التهكم" وإثبات جهل الآخرين والسخرية منهم ، لكنه ليس تهكمًا بالمعنى السيىء، وإنما هو تهكم قصد من ورائه إثارة التفكير فى نفوس الآخرين، وحثهم على البحث فى قيمة ما يؤمنون به، ودفعهم إلى الكشف عن الحقائق على أساس صحيح، ولهذا فقد ذهب هيجل إلى أنه " أقرب إلى المزاح المحبوب لا مدح فيه ولا هجاء"(١).

ويمكن أن يقال إن خطوة التهكم أقرب إلى الشك ولهذا فإن سقراط يبدو فيلسوفًا شاكًا قال عنه مينون فى المحاورة التى سميت باسمه.

ولقد كان غرض سقراط من تهكمه تخليص العقول من العلم الزائف عند السوفسطائيين، وتهيئتها لقبول الحق، حيث كان سقراط يأخذ على السابقين عليه جهلهم بطبيعة الجمال والخير والحق التى كان يعدها من أهم الأشياء التى يجب معرفتها(٢).

وكان لسقراط منهج خاص فى البحث عن الحقيقة يعتمد على تحليل آراء محاوره والتهكم والسخرية من تلك الآراء، للدفع ببطلانها ليصل بمحاوره إلى معرفة الحقيقة، ولهذا فإن أكثر ما يستدعى الانتباه هو ذلك المنهج الذى كان يستخدمه، فمنهج سقراط كان أكثر أهمية من الموضوع نفسه، حيث كان المنهج السقراطى ليخلص العقل من الأوهام ويفتح أمامه طريق العلم والمعرفة والذى قد لا يصل بالإنسان إلى نتيجة نهائية كما لا يصل إلى تعريف أو معنى للفضيلة كالتقوى والعدالة وغيرها، فنحن

---

(1) Hegel. History of philosophy. vol. I P.40 .

(٢) راجع: وولتر سيتس – تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص١١٥.

لا نصل مع سقراط إلى معرفة معنى الفضيلة، كالتقوى، العدالة ... إلخ، حيث كان هدفه الرئيسى هو البحث عن الحكمة والذى تحدد الموضوعات الأخلاقية والتى تجاوز حدودها أفلاطون إلى الأفكار الخاصة بالعلم والمعرفة مع وضعها فى عالم مثالى آخر.

وكان سقراط فى منهجه يأخذ فى فحص محاوره ولكن لا يهدف إلى إفحامه كما كان يفعل السوفسطائيين، وإنما كان يريد أن يصل إلى تحديد دقيق للمفهومات والمعانى[١]. ولكن أهم ما يميز سقراط ليس مجموعة من النظريات بل منهج البحث الذى كان يطلب من محاوره تعريفًا عامًّا لفضيلة من الفضائل. وعندما يلبى الشريك فى النقاش طلبه ويقدم تعريفا يبدأ سقراط فى طرح العديد من الأسئلة وليست كلها وإنما التى ترتبط بالتعريف. ويستخلص سقراط التناقضات من إجابات المحاور وعلى أساسها يرفض التعريف. وتعرف عملية الفحص هذه باسم "الدحض" واختبار آراء المحاور، وتتدعم شخصية سقراط. ويدعى سقراط أنه لا يعرف إجابات الأسئلة التى يسألها وأنه يسعى إلى الوصول إلى الحقيقة مع محاوره[٢].

ومثال ذلك ما ورد فى المقالات الأولى من محاورة الجمهورية حين يلتقى سقراط بثراسيماقوس الذى يدعى معرفة معنى العدل، وعندما يأخذ فى تعريفه يجادل سقراط فى صحة التعريف، ويتصل الحوار بينهما بحيث ينتهى كلاهما إلى أنهما لا يعرفان المعنى الدقيق والتعريف الصحيح للعدل.

---

(١) د. عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، جـ١، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤ ص٥٧٧ .

(2) Thomas Mautner , Ibid.

وهكذا كان الجدل والحوار المنهجى المنظم الهادف إلى إخضاع المعانى ووضع الحدود والتعريفات فهو ينشد الحقيقة التى تتولد من خلال تبادل الأفكار والنقد الذاتى والتصحيح المتبادل بين المتحاورين، ثم يأخذ فى فحص ما يدلى به محاوره ويكشف نقصه أو بطلانه ليصل إلى تحديد دقيق لتلك المعانى والمفهومات.

ويعد هذا المنهج السقراطى معارضًا للطريقة السوفسطائية التى كانت تفرض المعرفة والرأى أيضًا كما يتوهمه السوفسطائيون حتى أصبح الديالكتيك عندهم هو فن البرهنة والإقناع، لكسب الحوار، خلافًا لسقراط الذى يرى أن البحث عن الحقيقة هو المعيار الأساسى، إذ كان لا يفرض رأيًا، بل يبحث عن الحقيقة من خلال الحوار مع الآخرين، فهى وليدة تبادل الأفكار والآراء والنقد الذاتى والتصحيح المتبادل بين أطراف المناقشة[١].

وبناء على ذلك فإن سقراط كان ينشد الحقيقة التى كانت المعيار الرئيسى، الذى يختلف بموجبه الديالكتيك أو "فن البرهنة" عن فن الجدل، وفن المحادثة، وعن المناقشة الشفاهية .

إن الحقيقة تتولد من الحوار القائم على البرهان الجدلى، فالعالم بالمنطق كما يرى سقراط "هو ذلك الذى يعرف أن يطرح الأسئلة ويجيب"[٢]. وبذلك نستطيع أن نصل إلى الجوهر الحقيقى للأشياء.

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى – موسوعة الفلسفة، ص ٥٧٨، وانظر ثيوكاريس كيسيديس ص١٥٣.

(2) Thomas Mautner , op . cit

فالاقتناع بالجهل خطوة أساسية لاكتساب المعرفة، فالإنسان لا يكتسب أى معرفة إلا إذا عرف أنه لا يعرفها، لذا كان عليه وعلى غيره من الباحثين أن يسيروا دائمًا على هذا المنهج ليكتشفوا هذا المنهج .

ومن هنا فإن جوهر المنهج السقراطى يقوم على إقناع المحاور بأنه لا يعرف شيئًا وإن اعتقد عكس ذلك.

لذلك أثارت طريقة سقراط فى الحوار ضده سخط الكثيرين وعداوتهم. خاصة السوفسطائيين الذين كانوا يتاجرون بالعلم ويتربحون من ادعائه، وكذلك السياسيون كعادتهم أدعياء فى العلم، وفى غيره، حيث كان سقراط يكشف لمحاوره عن جهله خلافًا لما يدعيه فى أول الأمر بأنه من ذوى العلم والاختصاص بالموضوع الذى يجرى حوله الحوار(١).

ويستخدم سقراط فى محاوراته منهج التهكم أو السخرية الذى يبدو أنه غير حقيقى بمعنى مصطنع سطحى لكنه حقيقى ذو معنى عميق، وهناك مجموعة من الافتراضات وراء المنهج السقراطى، يجعلنا نلمح آراءه الخاصة كعبارات محيرة. ولذا كان سقراط لا يترك للمتحاور معه فرصة لكى يخرج من الموضوع ليكمل فرضه دون أن يقع فى الحيرة والتناقض خاصة مع أدعياء العلم والحكمة خاصة من السوفسطائيين، وتعد هذه هى المرحلة السلبية فى منهجه التى يتصنع فيها الجهل ويطرح الأسئلة على محاوريه، مدعيًا طلب التعلم منهم، مستعينًا بكثير من الأمثلة والتشبيهات

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، مرجع سابق، ص ٥٧٨.

من الواقع المحسوس، مما أضفى على الحوار صورة حية ساهمت فى متابعة المستمعين له.

التوليد: طريقة التوليد ويعنى بها طريقة توليد الأفكار من العقول أو توليد الحقائق الكامنة فى الذهن فيهدف إلى مساعدة الآخرين على استخراج الأفكار الصحيحة من أذهانهم فى صورة تعريف واضح محدد من أجل غاية عملية وليست غاية نظرية[1].

فيمثل التوليد المرحلة الإيجابية والتى لا يفرضها سقراط فى الموضوع الذى أثاره والذى انتقد فيه رأى محاوره ليساعده على أن يصل إلى الحقيقة بنفسه.

فالحوار هو الطريقة التى انتهجها سقراط مع الآخرين فى تحصيل الماهيات لاستخراج ما فى أذهانهم من مفهومهات عن الأمور خاصة تلك الأمور الأخلاقية.

ولقد كان الجدل السقراطى يشوبه الكثير من السخرية والتهكم الذى يهدف إلى تشكيك محاوره وإرباكه وإقناعه بجهله والتفكير فى طريقة حياته، وكان سقراط يقر بجهله وبجهل من حوله، ولذا كان يرفض كل ما وصل إليه محاوره من آراء وتعريفات غير أنه لم يقدم شيئًا، وبالتالى تظل المسألة معلقة ولا تنتهى بنتيجة، فالتهكم نشأ من اكتشاف سقراط جهل الآخرين وعدم معرفتهم بحقيقة الأشياء التى يتحدثون عنها، أما السخرية فتعبر عن موقف سقراط من الجهل، ومن ثم لم يكن إرباك سقراط لمحاوره

---

(١) راجع: كوبلستون، مرجع سابق، ص١٦٦.

هدفًا بل كان طريقة لاكتشاف الحقيقة من منظور الحياة الخيرة وليس بوصفها فكرًا مجردًا، حيث يريد أن يكتشف، ويحث الآخرين على أن يفكروا لأنفسهم، فاهتم بقيمة الذات ورأى ما للحكمة والمعرفة الحقة من أهمية، ولاهتمامه بالنفس، اهتم بالبحث عن القيم الحقيقية للحياة البشرية التى يمكن أن تتحقق فى السلوك الإنسانى[١].

وقد عرض سقراط للناس نموذجًا مثاليًا للمعرفة يتعذر الوصول إليه لمواجهة الشك السوفسطائى فى إمكانية المعرفة، فكلما أدرك محاوره طريقًا للهدف كان سقراط على استعداد لأن يجادلهم فيه مرة أخرى ويدخل معهم من جديد فى بحث مشترك آخر، وبهذا فهو ينتهى إلى أن الفلسفة تكمن فى هذه الفكرة " البحث المشترك".

وهنا يستخدم سقراط نوعًا من المغالطة السقراطية كالقول بأن المرء يعرف شيئًا ما إذا ما عرفه (يعرف س وإذا ما عرف س استطاع أن يقدم لـــ س تعريفًا)[٢] .

ومن ثم فإن منهج سقراط الجدلى لم يحقق أى معرفة إيجابية عن الحياة البشرية أو الكون لكن إذا اعتبرنا هذا المنهج ضرب من ضروب التأمل الباطنى أو مخاطبة النفس لنفسها ومحاسبتها لها فإنه يمكننا فى هذه الحالة التوصل إلى معرفة إيجابية.

---

(١) راجع: ثيوكاريس كيسيديس ـ سقراط – ترجمة طلال السهيل – الفارابى، ١٩٨٧، ص ١٥٩ – ١٦٦.

(2) Thomas Mautner, Ibid .

وهكذا كان سقراط فى منهجه يتظاهر فى حواره مع محدثيه بأنه يسلم بأقوالهم ، ولكنه فى الحقيقة كان يطرح الأسئلة ويثير الشكوك كما يفعل طالب العلم والاستفادة. ولذا نراه ينتقل من أقوالهم إلى أقوال نتجت عنها بالضرورة، غير أنهم لا يقرون بها، ومن ثم ينتهى بمحاوره إلى التناقض الذى يدفع به إلى إدراك جهله والاعتراف به.

ويعد هذا المنهج من أهم ما قدمه سقراط للفلسفة، فكان أول من طلب الحد الكلى بالاستقراء، إذ يقوم على دعامتين: حيث يكتسب الحد بالاستقراء، ويركب القياس بالحد، مع التمييز بين موضوع العقل وموضوع الحس، حيث كان يعتمد على الأسئلة التى تثير طرح التأمل والتى تؤدى بدورها إلى وعى المرء بجهله ومن ثم إلى المعرفة وبما بينه من أهمية تحديد الألفاظ تحديدًا دقيقًا حتى تتفق عليها العقول ويمتنع الخطأ ولا يحدث الالتباس، وبذلك يوجهنا إلى أهمية طلب ماهية الشىء[1].

---

(١) راجع: يوسف كرم، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٣.

مجالات النقد عند سقراط

أولاً : نقد سقراط للمصطلحات العامة والمفاهيم الشائعة:-

يرجع الفضل إلى سقراط فى أنه غيَّر وجهة نظر الفلسفة إلى معرفة الماهيات أو المدركات العقلية أى الكلية بدلاً من توجيهها إلى معرفة الموضوعات الخارجية، لقد أعلن سقراط أن المبدأ الرئيسى فى الفلسفة هو البحث عن المعرفة، وأن المعرفة الحقيقية هى معرفة الماهيات أى معرفة التعريفات الشاملة وكان سقراط يرى أن المعرفة لا يمكن أن تقوم على أساس صحيح إلا بعد دراسة طرق ووسائل الوصول إليها.

وقد جعل سقراط العمل والنظر شيئًا واحدًا ولم يفصل بينهما ولذا فإن الأخلاق لا بد أن تقوم على علم يسبقها، فالفضيلة علم، ولكن العمل لا بد وأن يقوم على أساس المعرفة الحقيقية أو على الأقل لا يفصل بينهما ولم يقل إن وجود الماهيات هو الوجود الحقيقى[1]. ولم يكن اهتمام سقراط منصبًّا على المعانى ولكن كان جل اهتمامه متمركزًا على المفاهيم مثل العدالة، المعرفة، والتى نعجز عن تقديم مثل لها نظرًا لجهلنا وارتباكنا أى تذبذبنا. لأننى كنت كما كنت أقول منذ لحظات، أتذبذب ما بين رأى وآخر ولا أبقى أبدًا ولا أبدًا ثابتًا على شيء وليس فى هذا التذبذب واللايقين غرابة فيما يخصنى أو يخص أى جاهل آخر مثلى. أما أن تتذبذبوا أنتم، وأنتم العلماء، فإن هذا هو الأمر الخطير فيما يخصنا نحن، لأننا إذا ذهبنا إليكم للتخلص من تذبذبنا، فإنكم لن تفيدوا بشيء" وهنا يوجه سقراط الحديث

---

(١) عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص٥٧٨.

إلى هيبياس منتقدا السوفسطائيين لافتقادهم المثل الأعلى فى المعرفة، إما لأنهم لا يقبلونه أو لأنهم لا يتصورونه[١].

وثمة مفارقة بين سقراطية تتمثل فى النتيجتين الغريبتين غير المقبولتين التى توصلت إليهما المحاورات السقراطية لأفلاطون وأولهما: ربط سقراط بين المعرفة والفضيلة والتى بمقتضاها لا يرتكب أحد الخطأ عن علم، وثانيهما: وجهة نظره القائلة أنه لا يمكن لأحد أن يعرف ما يقصده ويعنيه عند استخدام مصطلح بعينه إلا إذا كان بمقدوره أن يقدم تعريفًا واضحًا لهذا المصطلح أو المفهوم[٢].

إن التحليل النقدى عند سقراط يعتمد على المنهج الجدلى لتحديد معانى الألفاظ تحديدًا جامعًا، حيث وضع سقراط اللبنة الأولى فى بناء الديالكتيك عندما حاول أن يصل من خلال الحوار والمناقشة إلى مفهوم ثابت ومحدد للفضائل المختلفة يعتمد على التصورات العقلية فى مجال الأخلاق فقط[٣].

ويبدأ سقراط بالاعتراف بجهله بالموضوع وبرغبته فى أن يعرف معناه، وبعد أن يقدم لهذه الكلمة تعريفًا، يعترف سقراط برضاه التام عنه. فى البداية، لكن سرعان ما يثير حوله التساؤلات والشكوك التى يريد من

---

(١) د. عزت قرنى، تطور مفهوم اليقين فى فلسفة أفلاطون (حتى " فيليبوس ")، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية والعشرون، مجلس النشر العلمى، الكويت، ٢٠٠٢، ص ١٧.

(2) Oxford Dictionary 8 Philosophy, Simon Black burn Oxford University , press ,1996, p. 356 .

(٣) راجع د. أميرة مطر، مرجع سابق ص ١٨٦.

محاوره أن يحللها ويترك له زمام الحديث والحوار ثم يبدى رأيه فى عدم كفاية التعريف ليعود المحاور إلى تعريف جديد أو يعود للتعريف الأول.

ويهدف سقراط فى ذلك إلى الوصول مع المحاور إلى تعريف كلى حقيقى للكلمة أو المفهوم وذلك عن طريق التحليل النقدى لكل جوانبه وهو يهدف بذلك إلى استجلاء جميع جوانب الحقيقة التى ما هى سوى فكرة تتضح بالتحليل النقدى لكافة التفسيرات المختلفة لها[١].

والجدل أو التحليل النقدى لا يتناول الأشياء أو الوقائع وإنما يتناول التفسيرات المختلفة لها أو العبارات التى تقال عنها، ومواجهة هذه التفسيرات أو الأقوال ببعضها يؤدى إلى اكتشاف التناقضات التى يمكن أن تنطوى عليها الفكرة وهذا الكشف هو جوهر المنهج الجدلى.

ومنهج سقراط التحليلى النقدى هو منهج استقرائى يبدأ من تعريفات غير كافية إلى تعريفات أكثر كفاية، أو من النظر فى أمثلة جزئية إلى التعريف الكلى، وبهذا تسير الحجة من الجزئى إلى الكلى بهدف الوصول إلى تعريف كلى حقيقى[٢]. ولذلك كان حجر البحث والأساس فى المنهج السقراطى والبحث عن المبادئ الثابتة وراء الظواهر المتغيرة، هو البحث عن الكلى وراء جزئياته على أساس أن العلم بالمتغيرات ليس من العلم الصحيح بشىء، لكى يكون العلم علما يجب أن يتصف باليقين الذى لا يزعزعه اختلاف الناس ولا اختلاف العصور.

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، نفس المرجع، ص ١٥٠.

(٢) راجع: كوبلستون، مرجع سابق، ص ١٦٥.

وهذا التحليل النقدى استخدمه سقراط ليحدد معانى الألفاظ والمصطلحات تحديدًا جامعًا وهو أول من طلب الحد الكلى وسعى إلى تحقيقه والتوصل إليه بالاستقراء.

وسقراط فى بحثه عن الماهيات يوجهنا إلى أن تحديد الألفاظ فى أى موضوع لهو كفيل بأن يحدد إطاره فى ذهن قارئه، ويوحى إليه بمختلف أبعاده وأهدافه .

وكان لاكتشاف سقراط الحد والماهية أكبر الأثر فى مصير الفلسفة، فقد ميز بوضوح بين موضوع العقل وموضوع الحس وهو بذلك يعد موجد فلسفة المعانى أو الماهيات التى ترى فى الوجود مجموعة أشياء عقلية ومعقولة[١] ومن الملاحظ أن سقراط يستخدم التحليل النقدى فى مناقشة جوانب اللفظ وتفسيراته المختلفة دون أن يعمد إلى مناقشة اللفظ نفسه، فحين يستقر سقراط ومحاوره على فرض من الفروض يأخذ فى استنباط كل ما يترتب على هذا الفرض من نتائج ملزمة لكن سقراط لا يناقش الغرض نفسه، فهو لم يضع أى نظرية يثبت بها أن هذه الفروض قضايا واضحة بذاتها وإنما كانت مسلمات يتفق الخصمان عليها ولا يتحقق من صحتها، وكان سقراط يكتفى بإثارة الشكوك حولها وبالبحث عن مقدمة أخرى أو فرض آخر سابق عليها، حتى يصل إلى نهاية غالبًا لا تكون غير ناجحة أو نتيجة غير مرضية[٢].

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، أفلاطون، الناشر وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، مرجع سابق، ص ١٥٠، انظر كوبلستون مرجع سابق، ص ١٦٥.

والهدف من التحليل النقدى عند سقراط هو الوصول إلى التعريفات الكلية وهى تلك التصورات المحددة الثابتة التى تعد معيارًا للسلوك لا سيما الأخلاقى. وكان تركيزه على السلوك الأخلاقى أكثر من غيره، فمثلاً التعريف الكلى للفظ "العدالة" يبحث فى الطبيعة الداخلية لها التى تمكننا من أن نحكم على القواعد الأخلاقية للدول المختلفة، وليس فقط أن نحكم على الأفعال الفردية وذلك من خلال معرفة مدى الالتزام بالتعريف الكلى للعدالة، وهى تتحقق بصورة أكبر كلما زاد قربنا من هذا التعريف الكلى لها، كما تنعدم كلما بعدنا عن هذا التعريف[١]. وهو بذلك يهدم فكرة الأخلاق النسبية للسوفسطائيين والتى ترى أن العدالة تتغير من مدينة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.

أما التعريف الكلى للطبيعة الداخلية للعدالة فهو أمر ثابت يصلح لكل زمان ومكان ولجميع البشر.

ومنهج سقراط النقدى التحليلى فى البحث الفلسفى لم يكن يعتمد على قواعد فلسفية محددة واضحة منظمة قدر اعتماده على براعته فى إدارة الحوار وفى استخلاص الماهيات بعضها من بعض وتصنيفها وترتيبها من ناحية العموم والخصوص[٢].

لقد استخدم سقراط منهجين منطقيين شديدى الارتباط فيما بينهما وهما: منهج الحوار السقراطى ومنهج تحديد الماهيات، فكان يستخرج فكرة

---

(١) راجع: كوبلستون، مرجع سابق، ص ١٦٤ .

(٢) راجع : د. عبد الرحمن بدوى، فلاطون – مرجع سابق، ص ٣٠.

عامة مشتركة يجعلها الأساس لما يليها من حوار وكان يستعين بأمثلة حسية شديدة البساطة مستمدة من الحياة الأخلاقية الواقعية التى يفهمها الجميع، وفى هذا نجد سقراط يستعين فى نقده بنفس الفكرة والطريقة التى كان يلجأ إليها السوفسطائى حين يحيد عن المناقشة ليعود مرة أخرى إلى موضوع المناقشة والحوار لكى يوضح بالصور والبينة أسباب تقوية القيم الأخلاقية والمحافظة عليها وليبين أيضًا مخاطر بعض النظريات المشوهة التى ينادى بها أعداء التقاليد. ويرى سقراط أن القيم الأخلاقية كالعدالة وغيرها ضرورة للفرد كما هى ضرورة للمواطنين "الدولة"[١].

وقد استطاع سقراط بمنهجه الجدلى أن يحدد مفهوم المعانى الشائعة التى كان يرفضها وينقضها فى محاولة للبحث عن المفهوم الكلى الحقيقى من أجل الوصول إلى العلم الحقيق بهذه التصورات "المفاهيم".

وعلى هذا وجَّه سقراط نقده للمصطلحات العامة وطريقة استخدامها حيث كان الناس يستخدمونها باختلاف كبير فيما بينهم خاصة فيما يتعلق بتلك الأفكار الأخلاقية الوصفية كالعدالة والتقوى وغيرهما مما كان لا يمثل قيمة عند السوفسطائيين.

وعلى الرغم من أن الناس كانوا يستخدمون هذه الألفاظ بحرية مطلقة، إلا أن سقراط بسؤاله لهم تعذر عليهم جميعًا أن يدلوا بتفسير صحيح[٢] ونتج عن ذلك أن توقف الناس عن استخدامها.

---

(١) ألبير ريفو، الفلسفة اليونانية – أصولها وتطوراتها – ترجمة د. عبد الحليم محمود، د. أبو بكر ذكرى، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٠٧ ، ١٠٨.

(٢) راجع: و. ك . س جثرى، مرجع سابق، ص ٨٥.

ويقوم منهج سقراط التحليلى فى محاورة أوطيفرون على ثلاث خطوات هى عرض التعريف، فحصه، ثم رفضه. وقد كان تعريف أوطيفرون "للتقوى" لا يكشف عن جوهر التقوى أو عن طبيعتها الثابتة بل كان يستكشف أحد أعراضها أو حالاتها وهى أنها محببة من الآلهة، هذا فى حين كان المطلوب هو تعريف "التقوى" فى ذاتها ومن ثم فقد رفض سقراط هذا التعريف الشائع لأنه يسعى إلى الوصول إلى المفهوم الحقيقى والكلى للتقوى[1] فى مرحلة عرض التعريف نجد تشجيعًا لبدء الحوار والمناقشة، وفى مرحلة الفحص نجد استكشافًا للجوانب المختلفة يستحثه سقراط بأسئلته التى يثبت بها فى بحثه المشترك مع محاوره تناقض أفكاره وجهله لينتهى إلى رفض هذا التعريف وقد تنتهى المحاورة بالتعقيد التام.

وتجدر الإشارة إلى أن سقراط كان يلتزم بمبادئ نقدية عامة منها: الموضوعية، فهو يحرص على أن يكون النقد والبحث موضوعيًا بعيدًا عن الذاتية والتعريفات الشخصية، ويتضح ذلك من خلال رد سقراط على تعريف أوطيفرون للتقوى بأنها "أنت تفعل مثل ما أنا بفاعل" أى "مثلما أفعل أنا" حيث يوضح له سقراط بأن المطلوب هو الوصول إلى الصفات المميزة "للتقوى" سواء فى هذه الحالة أو فى غيرها. إنه يريد أن يحدد ماهيتها الكلية تحديدًا جامعًا ثابتًا.

---

(١) د. عزت قرنى، أفلاطون: محاكمة سقراط (فى محاورات أفلاطون) ، دار النهضة العربية، ١٩٧٣، ص ٢٣.

ولتأكيد هذا الاتجاه الموضوعى يلجأ سقراط إلى الاستعانة بأمثلة من المعارف العامة أو من ميدان الرياضيات، إنه يؤكد على ماهية التقوى الكلية باعتبارها معيارًا أو نموذجًا ثابتًا ملزمًا وأنها موجودة بذاتها فى ذاتها ومستقلة تمامًا.

ومن مبادئ النقد التحليلى فى البحث الفلسفى لسقراط هو استهداف العام وليس الجزء والجوهرى وليس العرض.

ومنها أيضًا أن أساس البحث هو العقل ووسيلته هى الحجة العقلية ومن ثم فكل شيء قابل للنقد والفحص، وهو لا يسلم بشيء إلا إذا كان مقبولاً من الناحية العقلية والسبب أو المبرر العقلى.

ولذا كان من الضرورى تقديم البرهان لكل ما يتقدم به المرء[١].

وتبرز براعة سقراط فى استخدامه العقل والحجج العقلية فى نقده التحليلى أثناء بحثه المشترك مع محاوره الذى ينتهى دائمًا إلى إثبات أن معارف المستمعين أو المحاورين له هى معارف غير صحيحة، فهو ينقد جميع معارفهم ويثبت أنها متناقضة وأن المحاور مناقض لنفسه وسقراط ناقد فى بحثه لنفسه وفى بحثه لنفوس الناس، وهو يسعى إلى إدراك جهله وإلى إثبات أن الآخرين جاهلون كذلك لأنه حين يدرك الإنسان أنه جاهل فقد بدأ فى إدراك نفسه[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٥ ــ ٢٦.

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، أفلاطون، مرجع سابق، ص٣٢، ٣٥.

إن سقراط يدرك جهله ويثبت جهل الآخرين الذين يزعمون المعرفة ومن ثم فهو أسمى منهم لأن لديه علمًا صحيحًا وهو العلم بأنه جاهل.

وقد يستخدم سقراط التكلم فى إثباته لجهل محاوره لكن المقصود بهذا التكلم هو إثارة التفكير فى نفوس الآخرين وحثهم على البحث فى قيمة ما يؤمنون به وهو فى حوله وحواره يهدم كل ما فى ذهن الناس من معرفة وعلم وتثبيت جهلهم.

لكن سقراط يظل يؤكد على ضرورة ماهية المعرفة رغم تساؤلاته التى يقول فيها: إن كنا نبحث فى شىء نجهله فكيف نعرفه إذا صادفناه؟ وإذا كنا نبحث عن شىء لا نعرفه فما فائدة أن نبحث عنه؟ فنجد سقراط يذكرنا بالنظرية التى جاءت بها الأحاديث المشهورة عن الحكماء والكهنة وعند الشعراء وأمثال بنداروس والتى تقول: "إن النفس الإنسانية خالدة وأنها لا تفنى بالموت ولكنها تولد فى حياة أخرى" وما دامت النفس قد كان لها وجود سابق على هذه الحياة فلا بد أنها قد عرفت كل شىء منذ القدم ويمكنها التذكر.

ولكى يثبت سقراط هذه النظرية نجده فى محاورة مينون يستدعى عبدًا لمينون ويوجه إليه أسئلة فى الهندسة فيجده يجيب بإجابات صحيحة ويستدرك بذلك أن يدرك أن المعرفة كافية فى النفوس. ويضيف سقراط أن العقل يتنبه عند رؤية المحسوسات ولذا فهو يتعرف على حقيقتها التى سبق للنفس أن رأتها فى حياتها السابقة.

لقد انتقد سقراط السوفسطائيين فى إساءة استعمالهم للجدل الذين اعتمدوا فيه على المغالطة فى الألفاظ المشتركة والتلاعب بالمعانى

والألفاظ، وبدلا من أن يكونوا معلمى بيان أصبحوا معلمى مغالطة حتى تحول معنى اللفظ تبعا لذلك، فكانوا يعولون على اشتراك الألفاظ وإبهام المعانى، ويتجنبون الحد الذى يكشف المغالطة.

ومن ثم زاد اهتمام سقراط بالحد الكلى، واستعان بالجدل فى تحديده للألفاظ والمعانى، واستخدم منهج الاستقراء الذى ينتقل من الجزئيات إلى الماهية المشتركة بينها ويحاول تحديد هذه الماهية، فكان أول من طلب الحد الكلى طلبًا مفردًا وتوصل إليه بالاستقراء. لذا يعد سقراط مؤسسًا لهذا المنهج العلمى، كما ذكر أرسطو أيضا أن سقراط هو أول من أقام العلم على التعريفات [١].

ومن ثم انطلقت من منهجه فى التعريف الكلى والاستدلال الاستقرائى كل العلوم، ولذلك كان من أشد ما انتقده سقراط أسلوب جدل السوفسطائيين الذى لا يضع حدودًا وتعريفات واضحة للألفاظ ولكن سقراط كان يبحث عن تعريفات عامة مجردة كما ركز تفكيره على عملية التعريف والحد، وكان لتأكيده على أهمية التعريف عاملا مهما فى تطوير علم المنطق الذى تعد أكثر قضاياه استدلالاً من تعريفات عامة.

ومن ثم فإن حجر الأساس فى منهج سقراط هو البحث عن المبادئ الثابتة وراء الظواهر المتغيرة، أو البحث عن الكلى وراء جزئياته، لأنه كان يبحث عن العلم اليقينى وعن التعريفات الشاملة وعن الماهية الحقيقية[٢].

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨ ص ١٨٣.

(٢) راجع: د. إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلى عند هيجل، دار المعارف، القاهرة، مصر سنة ١٩٦٨، ص ٦٤.

ولهذا تصدى سقراط لنظرية السوفسطائيين عن العلم التى توقفت عند إتقانهم للجدل بمعناه المغالطى والذى يقوم على المخادعات اللفظية، وقد بين تفاهة هذه النظرية وكشف عن أغاليطهم للناس، واعتمد فى ذلك على مذهبه الخاص بأن العلم هو العلم بالماهيات أى العلم بما هو ثابت وحقيقى من الأشياء وأن الجاهل هو الذى لا يعلم الماهية وكانت فلسفة سقراط تعنى التعرف على الحقيقة واكتشافها على ما هى عليه بالأسلوب البرهانى وهذا خلافا للسوفسطائيين الذين ينكرون الحقيقة ويزيفون المعرفة بالخداع والمغالطة، ومن ثم فقد كان دافع سقراط البحث عن الماهيات هو محاولة تصحيح مغالطات السوفسطائيين، مع انتقاده للفهم الشعبى الخاطئ للمفاهيم والتصورات.

ويتضح لنا اهتمام سقراط بالتعريف الكلى فى محاورة أوطيفرون عندما سأل تلميذه أوطيفرون عن التقوى فأجابه، بأمثلة جزئية وعندها انتقده سقراط قائلا " تذكر أنى لم أطلب منك أن تضرب لى للتقوى مثلين أو ثلاثة بل أن تشرح الفكرة العامة[١].

وهنا يؤكد سقراط على أهمية طلب الصورة الكلية والتعريف العقلى الذى استخدمه كمعيار بعد ذلك، تقاس به جميع الأشياء والأفعال بصفة عامة ويعطى من خلالها حكما عاما ــ وكان ذلك بداية فكرة التعريف والذى أصبح فيما بعد الأساس "للمثال" عند أفلاطون وبابا من أبواب

---

(١) أفلاطون، أوطيفرون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ص ١٩، وانظر المحاورة نفسها ترجمة الدكتور عزت قرنى، ط ٢ دار قباء ٢٠٠٢، ص ٤٤.

المنطق عند أرسطو ونقطة انطلاق للعلم فيقول أرسطو: "ثمة اكتشافان يمكن بحق أن نعزو الفضل فيهما إلى سقراط: المقال الاستقرائى والتعريف العام، وكلاهما للعلم نقطة انطلاق "[1].

وينتقد سقراط أسلافه ومعاصريه الذين يقولون بالمعرفة الجزئية وأن الحواس وحدها هى الأساس فى تحصيلها ويرى أن العقل يدرك الأشياء الجزئيـــة (كالوردة ــ الحصان) كما يدرك الصفات المشتركة بين هذه الجزئيات التى تدخل تحت نفس النوع مثل الصهيل بالنسبة للحصان، والعقل أيضًا هو الذى يستبعد الصفات العارضة كالأسود وغيرها من الألوان بالنسبة للحصان.

ولذلك فإن المعرفة تتمثل فى تلك الإدراكات العقلية أو الكلية وأداة تحصيلها العقل. فالعقل هو الذى يكتشف ماهية الحقيقة، كل شىء فيما وراء الحس ويمكنه عن طريق الجدل الوصول إلى تحديد هذه الماهية.

وهكذا نجد أن العقل هو الذى يكتشف حقيقة الأشياء ويعبر عنها بالجدل ليصل إلى تحديد الألفاظ والمعانى تحديدًا جادًّا.

ولهذا كان سقراط يرد كل جدل إلى الماهية أو الحد ليمنع الخلط بينها مستعينًا فى ذلك بتصنيفه للأشياء إلى أجناس وأنواع وجعل سقراط الحد شرطًا للعلم ووضح عمليا ضرورة الاعتماد على الكيف ناقدا فى ذلك الفلسفة الطبيعية الفيثاغورية لاعتمادهم على الكم.

---

(١) راجع: جورج طرابيشى، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، ص ٣٣٧ .

ولكن سقراط بسؤاله عن ماهية الشيء كان يقصد حقيقة الشئ الثابت بسؤال عقلى ونظرى، موجه من العقل إلى العقل، حتى أضحى التمييز جليا بين موضوع الحس وموضوع العقل.

وهكذا كان سقراط يبحث عن التعريف الكلى العام غير مكترث بالبحث عن الجزئيات أو تلك الأشياء الحسية كالمنضدة أو المقعد فهذه من عمل الحرفى وليس الفيلسوف الذى يتحدث عنها كفكرة وبالتالى يحللها إلى فكرة وبذلك كانت فلسفته هى نقطة البدء فى البحث فى الماهيات[1].

وبناء على ذلك رفض سقراط كل التفسيرات المادية السببية واتجه نحو التفسيرات العقلية وكون لنفسه منهما فكرًا فريدًا لاكتشاف حقيقة الإنسان والوصول إلى معرفتها معتمدًا على العقل فى فهم الإنسان وذاته. متجاهلا العالم الطبيعى والتفكير حول العالم وأصله ليحصر دراسته فى المسائل الأخلاقية فبحث عن العام وكان سقراط أول من ركز تفكيره فى عملية التعريف. وذلك تخليص الأفكار من الإبهام والغموض للتركيز مباشرة على الموضوع الحقيقى للمناقشة فالمعرفة الحقة هى معرفة الماهيات ومعيارها فمعرفة النفس لذاتها هى أساس الأخلاق ونقطة البدء فيها فالعلم الحقيقى هو العلم بماهيات الأشياء، أى بحقائقها.

كما عمل على توجيه الإنسان إلى معرفة حقيقية الأخلاق والفضيلة عن طريق الاستناد إلى قوة العقل فكان يهدف إلى تحديد مفهوم الفكرة أو

---

(١) راجع: د. نوال الصايغ، المرجع فى الفكر الفلسفى، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى دار الفكر العربى ، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١.

الشيء تعريفا لا يقبل التنوع، ولذلك يرفض سقراط كل شيء ولا يقبل إلا التعريف المطلق أو النهائى ويسمى Doxai مجرد رأى، تمييزًا له عن المعرفة الصحيحة والتى يطلق عليها Scientific knowledge أى المعرفة العلمية.

وهكذا كان كل تركيز سقراط فى عملية التعريف ولكنه حصر بحثه عن الماهية والتعريفات العامة فى مسائل الأخلاق حتى أصبح البحث عن التعريفات عند سقراط هو بحث عن حقيقة أبدية مطلقة ثابتة لا تتنوع رافضا بذلك عالم التغير عند أسلافه، حيث لعب سقراط فى بحثه عن التعريف دورا أساسيا دفع تلاميذه فى اتجاهين متناقضين لا يلتقيان تركا أثرهما على تاريخ الفلسفة والذى انطلق كل منهما من نفس الملاحظة التى اعترف بها سقراط وهى عدم قدرته على الوصول إلى التعريف الذى كان يبحث عنه ويهدف إليه.

ويمثل هذين التيارين المتناقضين أفلاطون مما أدى به إلى عالم المثل والثانى: انتستين وإنكاره إمكانية المعرفة ومن ثم ذهب إلى الشك المطلق.

ثانيًا: نقد سقراط لفكرة الطبيعة:

نقد سقراط الفلاسفة السابقين عليه لاقتصارهم فى البحث على الطبيعة الخارجية دون النظر إلى الطبيعة الداخلية على الرغم من نظرتهم إلى الطبيعة الخارجية باعتبارها كائنا حيا[1]. فوضعوا بذلك نواةً فى فلسفة

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٤٩.

الكون. إلا أنهم أولوا كل عنايتهم بالكون على حساب الإنسان. وإن كان سقراط قد بدأ متحمسًا بشئونها ثم أعرض عنها.

ولقد أدى بسقراط تعارض أفكار أصحاب النظريات الطبيعية بداية إلى اليأس السقراطى فيقول عن اكسانوفان على لسان سقراط "إن الاشتغال بهذه المسائل جنون مطبق[١]. خاصة وأن تلك الأبحاث شغلت كل اهتمام الطبيعيين الأوائل ولم تعر الإنسان اهتمامًا إلا عرضًا.

ومع أن سقراط قد بدأ حياته متحمسًا للطبيعة دراسة وبحثًا ومعرفة فى كل ما يتعلق بشئونها إلا أنه سرعان ما أعرض عن مثل هذه الدراسة. فيقول سقراط: " لقد كنت فى صباى شديد الرغبة فى معرفة ما يسمى بالعلم الطبيعى من أبواب الفلسفة، فقد ظننت أن له أغراضًا سامية، إذ هو العلم الذى يبحث فى علل الأشياء فينبئنا لماذا وجد الشيء وفيما خلقه وفناؤه، وكنت لا أقلق نفسى بالنظر فى مسائل كهذه: هل يرجع نمو الحيوان إلى فساد يجيء به عامل الحر والبرد[*] كما يقول بعض الناس؟ أيكون العنصر الذى نفكر به هو الدم أو الهواء أم النار، أم قد لا يكون شيئًا من هـذا القبيل؟" [٢].

---

(١) راجع: د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، ط ٢، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٢٤.

(*) هذا رأى قديم يعلل الحياة فى الكائنات الحية بتأثير الحرارة والبرودة فى معادن خاصة.

(٢) أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٧.

هذا فضلاً عما أسفر عنه تفكيرهم من نتائج والتى أدت إلى عدم اعتقادهم فى قدرة العقل بل عجزه عن البحث فى خبايا وأسرار العالم الطبيعى والذى كان يشغلهم بتفسير الطبيعة الخارجية[١].

كما ينقد سقراط الفلاسفة والمشتغلين بالفلسفة لأنهم يجهلون كل أمور الحياة من السياسة والحديث فى المجتمعات العامة والخاصة والمناسبات السارة، فضلاً عن كونهم لا يشاركون الناس فى مناسباتهم، يقول فى هذا سقراط: "لا ينشغل الفيلسوف بكل ما يحدث للمدينة من خير أو شر أو بما ورثه الأطفال عن جدودهم الرجال والنساء من فساد، لا يشغله هذه الأمور أكثر مما يشغله عدد البراميل التى يملؤها ماء البحر كما يقول المثل، لا يحس أبدًا بجهله بكل هذه الأمور لأن امتناعه عن المشاركة فيها ليس من قبيل الزهو، فالواقع أن الموجود الذى له إقامة داخل المدينة هو جسده فقط، أما فكره فيعد كل هذا هراء وسخفًا ويطوف محلقًا فوق السماء وتحت الثرى – على حد قول بنداروس – باحثًا فى السماء ليقيس مساحتها وليتابع سير النجوم وليبين طبيعة كل شىء فى مجمله بغير أن يهبط إلى ما هو قريب منه مباشرة".

ويوضح ذلك سقراط: فيقول: " كان طاليس يراقب النجوم فوقع فى بئر وهو شاخص ببصره إلى السماء"[٢]. يقال: إن فتاة كانت تراقبه

---

(١) راجع: د. توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، ط ٤، النهضة المصرية، ١٩٧٩، ص ٤٦ .

(٢) أفلاطون: محاورة ثياتيتوس، ترجمة د. أميرة مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

فضحكت من ذلك الذى يبذل جهده ليعرف ما يجرى فى السماء فى حين أنه لم يكن يرى موقع قدميه.

وينطبق كل هذا التشبيه على كل من يقضون حياتهم فى الفلسفة، والواقع أن هذا الرجل لا يعرف من القريب أو الجار ولا يعرف ما الذى يعمله هذا ولا أن كان رجلاً أم كان من صنف حيوان آخر، بل هو يبحث فى الإنسان وأى شىء ينبغى أن تتميز هذه الطبيعة عن غيرها فى فعلها أو انفعالها؟ كذلك يكون بحثه ويكون الاستقصاء الذى يكرس له جهوده.

وهنا يستخدم سقراط السخرية كعادته والاستهزاء من هؤلاء الفلاسفة لجهلهم بأمور الحياة اليومية والعامة، مشيرًا فى ذلك إلى طاليس وغيره من الفلاسفة.

لقد اعتدت أن أسمع عنك كثيرًا يا سقراط، فقد كانوا يقولون إنك تشك فى كل شىء، وإنك تجعل غيرك يصل إلى هذه النتيجة، يبدو لى الآن أنهم كانوا على حق فى قولهم هذا، فأنت، فيما أعتقد أشبه ما تكون بسمكة البحر التى يطلقون عليها اسم سمكة الرعد(*) والتى يقال إنها تصيب بالرعشة والتخدير كل من يلمسها أو يقترب منها، ولقد فعلت ذلك معى فأصبتنى بالرعدة فى جسمى وروحى معًا، فلم أعد أدرى كيف أجد لك جوابا، بالرغم من أننى تحدثت آلاف المرات عن الفضيلة مع أشخاص عديدين وكنت أظن أن حديثى معهم كان حديثًا طيبًا، ولكنى لا أدرى الآن ماذا أقول ولذا فنصيحتى إليك ألا ترحل بين قوم لا يعرفون عن طريقتك شيئا حتى لا

(*) تسمى أيضا باسم السمك الرعاش.

يصدرون حكمهم بإعدامك[1] ظنًا منهم أنك تمارس ضربًا من ضروب السحر والشعوذة"[2].

وعلى هذا انصرف سقراط عن البحوث الطبيعية لاقتناعه بأنه لم يخلق لها، ولكون المقارنة بين الأشياء قد أدت به إلى حالة من الإرباك والاضطراب أدت به إلى المقارنة بين الأشياء فيقول: "إنى لأستغرب ألا يستطيع الناس أن يفرقوا بين السبب والحالة وهو ما يخطئ الدهماء فيه وفى تسميته دائمًا، لأنهم يتخبطون فى الظلام، وهكذا ترى من الناس من يفترض دوامة من الماء تحيط بالأرض التى ترتكز فى موضعها بفعل السماء، وترى آخر يذهب إلى أن الهواء عماد الأرض، وأن الأرض في شكل الحوض الفسيح ولهذا يتهكم سقراط بهذا القول على الفلاسفة الطبيعيين الذين كانوا يعللون الكون بالماء تارة وبالهواء تارة أخرى، دون أن يصلوا بعقولهم إلى ما وراء المادة من قوة مدبرة"[3].

وعلى هذا نقد سقراط الفلاسفة الطبيعيين الأوائل لقولهم بوجود مبدأ مادى لتفسير حركة الطبيعة ونشأتها[4].

---

(١) تحققت فيما بعد نبوءة "مينون" فقد اتهم بأنه يمارس تأثيرًا قويًا على عقول الشباب حتى إنه أفسدها ... إلخ وقد حكم عليه بالإعدام بالفعل، وتجرع السم تنفيذًا لهذا الحكم....

(2) Plato: Meno, 80.

(٣) أفلاطون، فيدون، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٤) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها. دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٥١.

وهنا يختلف سقراط مع تلك الفلسفات الكونية فذهب يبحث عن حكمة تفسر له العلة أو السبب فى وجود الأشياء كما هى عليه، فمعرفة صانع الفخار الخبير بنموذج الجرة يفسر له شكل كل جرة يقوم بصنعها، فقد مكث البشر يتساءلون لعصور طويلة، مم صنع العالم وكيف وصل إلى ما هو عليه قبل أن يبحثوا أو يكشفوا عن نماذج الأشياء وحقيقتها[١]. وإن اتفقوا جميعًا فى البحث عن قانون يحقق التآلف ويفسر الأشياء دون أن يتغير كما أشار لذلك الفلاسفة الطبيعيون وأنبادوقليس.

كان سقراط يأمل أن يجد بين الناس من يعلمه طبيعة الكمال الذى تنشده ظواهر الكون، وبالتالى يستطيع من خلاله أن يعلل كل شىء وإن لم يوفق، لذلك يعرض لعلة تجىء فى المرتبة بعد الكمال مباشرة. يقول سقراط: " ولا تسيغ عقولهم قط وجود أى قوة تسير بهم إذ تصرفهم نحو الأحسن وهم لا يتخيلون أن فى ذلك قوة فوق القوة البشرية إنما هم يتوقعون أن يجدوا للعالم عمادًا آخر أقوى من الخير وأكثر منه دوامًا وشمولاً، وهم بغيره يرون أن قوة الخير القصرية الشاملة هى كل شىء، ولكنى مع ذلك أتمنى أن يكون هذا هو المبدأ الذى أتعلمه إن وجد من يعلمنيه، ولما كنت قد فشلت أن أستكشف بنفسى أو بإرشاد غيرى من الناس طبيعة الأمثل، فسأعرض عليكم إذا شئتم طريقة البحث فى العلة التى وجدتها تتلو الأمثل فى المثالية"[٢].

---

(١) نقلا عن كوارميسن، مرجع سابق، ص ٦٣-٦٥.

(٢) أفلاطون، فيدون. ترجمة د. زكى نجيب، مصدر سابق، ص ١٨١.

ويزيد سقراط الأمر توضيحًا: إذا كان هؤلاء الفلاسفة على حق فى قولهم بأى عنصر من العناصر، ومع تفسير الفلاسفة السابقين للأشياء بأحد العناصر لن نجد لديهم إجابة عن (لماذا) توجد الأشياء حيث لن يتبين لهم هذا الأمر مطلقًا، وإن كنا نجد لديهم الجواب عن "كيف" وجدت الأشياء؟ "وكيف" صارت؟ فالسؤال (لماذا) هو البحث عن السبب أو العلة الذى لا يتعلق بمادة الأشياء، وإنما بماهيتها[1] أى بالفرض الثابت فى الذهن وهو ما يراه المرء خيرًا.

ومن هنا حث سقراط بعض الشباب من أصدقائه على استخدام عقولهم، مع دفعهم إلى البحث عن العلة والسبب برغبة وشغف، حيث أضحت التفسيرات التى كانت تقنع الآخرين لم تعد تقنعه. كما نقد سقراط العلم التجريبى عند السابقين من الفلاسفة الطبيعيين والذى أنكره فى نفسه، وأكد على جهله به[2].

وهكذا نقد سقراط الفلسفات الطبيعية السابقة عليه، فكان لا يقيس الناس بأجسامهم بل بأفكارهم، حيث كان يبحث عن حكمة تفسر له السبب فى وجود الأشياء على ما هى عليه ولذلك ظل محاولاً أن يستخرج الحقيقة حيثما كانت، بعد فحصها من كل جوانبها ومعرفة كل نواحيها، والتى تمثلت أمامه فى معرفة "الخير" الذى يسيطر على جميع الأفعال ويمثل الغاية القصوى من الحياة.

---

(١) راجع: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، ١٩٨٨، ص ١٥٦.

وعارض سقراط فكرة العدد فى الفلسفة الفيثاغورية لما تؤدى إليه من التناقض حيث لم يتمكن سقراط أن يكشف عن طبيعة الإشكال الذى وجدها فى نظرية العدد: إذ كيف يمكن تكوين الواحد من اثنين أو قسمة الواحد إلى اثنين؟

كما رفض سقراط أن ينتج الاثنان من عمليتين مختلفتين، أولهما بأن نقسم الواحد إلى جزئين فيكون الناتج لنا بذلك اثنين، وثانيهما: بأن يقسم واحدًا إلى واحد فيكون الناتج لنا بذلك أيضًا اثنين.

ويستنكر ذلك سقراط فى محاورة فيدون فيقول: " لست أستطيع أن أقنع نفسى بأننا لو أضفنا واحدًا إلى واحد صار الواحد الذى جاءته الإضافة اثنين أو أن الوحدتين مضافتين معًا تساويان بسبب الإضافة اثنين، فلست بمسيغ كيف أنه إذا انفصلت إحداهما عن الأخرى كانت واحدًا لا اثنين، ثم إذا تلاقيا، فقد يكون مجرد التقارب بينهما سببًا فى أن يصبحا اثنين.

هذا ولست أفهم كيف تكون قسمة الواحد سبيلاً للحصول على اثنين، لأنه عندئذ تكون النتيجة الواحدة ناتجة عن سببين متباينين"(١).

كما نقد سقراط بعض آرائهم فى النفس حيث كانت لهم أفكار متباينة، أحيانًا يتابعون فيها معاصريهم الذين جعلوا النفس مادة لطيفة تكون بمثابة علة توافق الأضداد فى البدن، وعلة حركته أيضًا.

---

(١) أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، مصدر سابق، ص ١٧٨.

ولقد نقد سقراط أنكساجوراس لأنه فسر العالم كما فسره الفلاسفة الطبيعيون، غير أنه أدخل العقل فقط حتى لا يمتزج الخليط ويدفع بالأشياء إلى الحركة لتحدث حركة الدوامة .

ويرفض سقراط نظريته الطبيعية فى محاورة فيدون فيقول: "هذا بعد أن انكب سقراط على دراسة أنكساجوراس معتقدًا أنه عثر على منظور جديد يفسر له كيف يعمل العقل فى العالم، وكيف تنظم الأشياء على نحو أفضل، ولكنه أصيب بالفشل، كما رفض سقراط أفكار أنكساجوراس عن الشمس والقمر إلا أنه سلم معه بوجود عقل منظم للأشياء، فالعالم يحكمه عقل إلهى قد نظم كل الأشياء فى أكمل صورة وموجه نحو غاية محددة وفقًا لخطة معقولة ومرسومة من شأنها أن تحقق غايات الإنسان العليا من (العدل والخير والجمال) فى ظل العناية الإلهية[1].

ومن هنا عارض سقراط الفلسفة الطبيعية من حيث إن الأشياء لا يمكن تفسيرها بالعناصر المادية التى تتركب منها، وإنما بمبدأ يوجه امتزاج العناصر، ويربط جميع الكائنات فيما بينها بروابط الانسجام. ولكى تتجه نحو تحقيق بعض الغايات ليصل كل كائن إلى كماله.

كما يعارض سقراط كل فلسفة آلية فى تفسير العالم ومؤكدًا أن العقل يخضع فى سيره ووجوده لعقل إلهى هو المنظم لكل الأشياء.

---

(١) راجع: د. مصطفى النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الإسلامية والغربية، بيروت دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٨٤، ص ٩٥.

وانكب سقراط فى صدر حياته على ما كان يتناقله الحكماء عن الطبيعة[١] فقرأ لهيرقليطس غير أنه أشاد بما فهمه منه.

ويضيف أن سقراط كان مهتما بالبحث فى الطبيعة والفلك ولكنه انتهى من دراسته إلى الشك فيها جميعًا، بل وإنكارها كلية ولذلك يقول: "ولشدة ما يسوءنى أن يتهمنى مليتوس بمثل هذا الاتهام الخطير، أيها الأثينيون الحق الصراح أنى لا أتصل بتلك الدراسة الطبيعية بسبب من الأسباب."[٢] ومن ثم اتخذ سقراط موقفه ضد الطبيعة رافضًا البحث فيها باعتبارها نوعًا من الكفر والإلحاد والجنون كما يروى أكسانوفان فى مذكراته قول سقراط. وكما يختلف المجانين، فمنهم من لا يخاف مما يخيف ومنهم من لا يستحى من التلفظ ومن عمل أى شىء أمام الناس ومنهم من لا يحترم المعبد ولا الهيكل ومن لا يهدى أى شىء إلى الآلهة، ومن يعبد الحجارة والحيوان، كذلك نجد أولئك الذين يبحثون فى الطبيعة، بعضهم يعتقد أن كل الأشياء فى صيرورة دائمة وبعضها الآخر يلغى الحركة وبعضهم يرى أن كل الموجودات قد حدثت وستفنى وبعضهم يرى أن لا وجود ولا فناء.

كما عارض سقراط فكرة الطبيعة ووصفها بأنها لا تليق بالإنسان لاعتقاده بأن الآلهة هى التى صنعت هذا العالم وهى وحدها التى تمتلك معرفته، ولذا حرمته على البشر.

---

(١) نقلا عن كورامیسن، مرجع سابق، ص ٦٢.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص ١٥٢، وانظر: أفلاطون، الدفاع فى (محاورات أفلاطون) ترجمة د. زكى نجيب، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٩.

إن ما يقوم به الطبيعيون من بحوث كونية إنما يخالفون بذلك حكم الآلهة[1].

يقول سقراط فى محاورة فيدون: "استمعت إلى رجل كان عنده كتاب أنكسجوراس كما قال وطالع فيه أن العقل هو المصرف والعلة لكل شىء، ولشدة ما اغتظت لذكر هذا الذى كان باعثًا على الإعجاب، وقلت لنفسى: إذا كان العقل هو المسير فإنه سيسير بكل شىء إلى الصورة المثلى، ويضع كل شىء أحسن موضع، وزعمت أن من يرغب من الناس فى استكشاف علة تولد أى شىء أو زواله أو وجوده فعليه أن يرى كيف تكون الصورة المثلى لذلك الشىء من حيث وجوده وسعيه وعمله، لذلك كان لزامًا على المرء ألا يضع نصب عينيه إلا الحالة المثلى بالنسبة إلى نفسه وإلى الناس ثم عليه بعد ذلك أن يعلم الأسوأ أيضًا، فالأمثل والأسوأ يحويهما علم واحد، وسرت فيما ما ظننت أنى واحد فى أنكسجوراس من يعلمنى ما وددت أن أعلم من أسباب الوجود، وخُيل إلى أنه منبئ أول الأمر عن الأرض أمسطحة هى أم كروية، وأنه باسط بعد ذلك علة هذا وضرورته وأنه معلمى طبيعة الأمثل ومظهر لى أن الأمثل إنما هو هذا"[2].

لقد اعتقد سقراط بداية أنه سيجد فى نظرية أنكساجوراس البراهين الكافية على أن الكون فى صورة مثلى، فهو لا يطلب تعليلاً لظواهر الكون التى اعتقد أنكساجوراس بوجودها فى أوضاع مثالية، فتلك عند سقراط غاية

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، المرجع سابق، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب، مصدر سابق، ص ١٧٩.

لا تكفى وحدها أن تكون هدفًا أقصى وإنما يبحث سقراط عن العلة الغائية لجميع الأشياء.

ولكن سقراط أصيب بالفشل ولذلك عاد يقول: "ما أبعد ما رجوت من أمل، وما أسوأ ما عدت به من فشل فما مضيت حتى ألقيت فيلسوفى قد نبذ العقل نبذًا كما نبذ كل ما سواه من أسس الإنسان، وانتكس إلى الهواء والأثير والماء وما إليهما من شوارد الآراء، فكان عندى أشبه برجل أصر بادئ ذى بدء أن العقل هو علة أفعال سقراط بصفة عامة، فلما أراد أن يبين بالتفصيل أسباب أفعالى العديدة، أخذ يبرهن أننى أجلس هاهنا لأن جسمى مصنوع من عظام وعضلات "(١).

وقد رأى سقراط فى هذا خلطًا بين الأسباب والحالات، وأن فعل العقل هراء على هذا النحو لا يقوم باختيار الأحسن.

وهكذا نقد سقراط أصحاب الفلسفات الكونية لتفسيرهم الأشياء تفسيرا آليا ماديا، ورأى أن الأشياء لا يمكن تفسيرها بالعناصر المادية التى تتركب منها ، بحيث لا تكشف عن العلة الغائية فى وجود الأشياء وحركتها، خرج سقراط على انكساجوراس متحديا عندما قال بأن العقل هو أساس نشأة الكون ووجوده، بيد أنه لم يستخدم العقل بعد ذلك إلا إذا كان لا يعنيه التفسير بالعناصر المادية.

هكذا وجه سقراط نقدًا شديدًا إلى أنكساجوراس مع قوله بأن مشكلة الإنسان ليست بعظامه وعضلاته وإنما فى النفس التى تتصرف نحو الفعالية

---

(١) نفس المصدر، ص ١٨٠.

بما هو أخلاقى (الخير والشر) أى السلوك باعتباره ذاتًا حية مفكرة حيث اهتم سقراط بالإنسان وجعله محورًا لفلسفته والتى انحصرت فى دائرة الأخلاق، حيث حول النظر الفلسفى من الملك والكون إلى النفس خلافًا للفلاسفة السابقين عليه الذين انشغلوا بالكون ومشكلاته من أجل وضع مبادئ عامة لتفسير الوجود مستخدمين فى ذلك منهجًا تأمليًا جدليًا.

وهكذا رد سقراط على الآلية الطبيعية بفكرته عن الغائية التى تعتمد على أن لكل شىء غاية مرسومة يسعى إليها وفيها يبلغ كماله، وأن فى الكون مثلاً تسعى الأشياء المحسوسة إلى بلوغها وبذلك اعتقد سقراط بأن للكون عقلاً مدبرًا وأنه يخضع فى كونه ووجوده لتدبير وعناية عقل إلهى يهدف إلى تحقيق العدل والخير والكمال، وأن للإنسان نفسًا هى التى توجهه نحو الفضيلة والخير، وأن غائيته أثرت على لاحقيه حتى أضحت فيما بعد بمثابة إرهاصات لنظرية المثل عند أفلاطون.

ثالثًا: نقد سقراط للدين:

ثار سقراط على الدين عند السابقين عليه كما صورته أشعار هوميروس(*) وهيزيود، وهى أشعار تدفع إلى الغضب وتثير العواطف تجاه

(*) هوميروس: هو شاعر اليونان ومعلمها فى طور الأسطورة، ومؤلف الإلياذة والأوديسا، أما الإلياذة: إنجيل الإغريق، وهى سجل تاريخى للعصر الهوميرى الذى يقع بين القرن الثانى عشر والقرن العاشر ق. م، وظلت حتى القرن الرابع المثل الأعلى الذى يستمد منه اليونان أخلاقه، فهى ديوان الشعر وأصل التاريخ وذخيرة اللغة. وكانت فكرته الضرورة " الجبر " والقضاء والقدر من أهم الأفكار الفلسفية التى تأثر بها فلاسفة اليونان فى تفسيرهم للأفعال البشرية والموجودات الطبيعية. راجع الأهوانى، ص ٢٥. =

الآلهة[1] حيث كان الدين فى ذلك العصر لا ينطوى على قداسة، ولا يبعث على تدين. إذ كان يقدم صورة عابثة عن الخير والشر والجزاء بعيدًا عن تفسيره لنشأة الكون أو مشكلة الموت وما بعده.

والأخلاق عند هوميروس ليست لها صلة بالدين خلافًا لسقراط، ومن ثم كان الدين يترك انطباعًا لا أخلاقيًّا عن الآلهة، التى كانت تسلك مسلك البشر ففيها ما فى البشر من قسوة وعناد ورذائل وشرور، تتشاجر وتكذب وتسرق وتؤذى أعداءها[2] ولا يشغلهم سوى تقديم القرابين إليها، وكانوا كالبشر لا يختلفون عنهم فى شئ إلا هذا السائل الذى يسرى فيهم ليجعلهم أسرع حركة وأكثر بطولة ويهبهم الخلود[3] فيصورهم جلبرت موراى

= والإلياذة: قصة حرب (طروادة).

بينما الأوديسا: كانت قصة مليئة بالسحر مفعمة بالخيال وتعبر عن افتتان اليونانيين بالطبيعة وخبراتها فجعلوا لكل شىء من خبراتها إلها.

وهاتان القصتان كانتا ذات طابعا أسطوريا يضفى الحياة والألوهية على ظواهر الكون حتى أصبح لكل شىء إله وبات لكل إله أسطورة توضح نشأته وعلاقته بالمدينة التى وجد بها، والطقوس التى كانت تقام تكريما له حتى أصبحت هذه الأساطير عقيدة اليونان وفلسفتهم ، لم تكن الآلهة من قول كاهن أو وحى نبى وإنما كانت وليدة تخيلات البشر وبالتالى وجدت بعد الإنسان وكانت أشبه بعصابة من عمالقة البشر يسكنون قمة جبل الأولمب ونتجت عن زواج السماء والأرض. راجع: د. أحمد محمود صبحى، فى فلسفة الحضارة، الحضارة الإغريقية، ص ٢٩.

(١) راجع: د. الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، ص ٢٤.

(٢) راجع: كورامبس: مرجع سابق، ص٢٩.

(٣) راجع: د. أحمد محمود صبحى، فلسفة الحضارة الإغريقية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص ٣٢.

بقوله: "تزعم آلهة معظم العالم أنها خلقت العالم إلا آلهة الأولمب لا تدعى ذلك غير أن يقهروا العالم ويتحاربوا لدى النساء لأن آلهة الأولمب مجتمع رجال محاربين أشرار ... وهذه صورة للألوهية لا تقبلها مشاعر النساء".

وهكذا خلق الدين تصورا لا أخلاقيا عن الآلهة لدى اليونان فكانت الأخلاق عملية على مستوى ممارسة الأفراد، ونظرية على مستوى مذاهب الفلاسفة ولم تؤسس على أساس دينى بل ظلت بعيدة عنه، نظرا لما كان ينسب إلى آلهة أوليمبوس من انحلال خلقى حيث كانوا رجالاً مقاتلين أشرارًا. ولهذا فقد حمل سقراط على آلهة هوميروس حملة شعواء ساهمت فيها الأورفية بدور تمثل فى نزعتها الروحية التى تأثر بها كل من فيثاغورس وسقراط، ولكن العقيدة الأورفية كانت تعبر عن روح شرقية خالصة شكلت رد فعل تجاه دنيوية الروح اليونانية وماديتها ولا أخلاقية أديانها وبشرية آلهتها[1].

ولذا يرفض سقراط كل ما يقال من انحلال وشهوات الآلهة ومنازعاتهم خشية أن ينهار الدين من أساسه، ولهذا السبب يرفض سقراط كل ما لا يليق بالآلهة من صراعات وسرقة وغش وانقسامات وحروب بسبب أهوائها فالعمل الحسن عند أحدهم قد لا يعد كذلك عند الآخـــر فنحن لا نعلم ما يطيب للآلهة أو ما لا يطيب[1].

---

(١) راجع المرجع السابق، ص٥٤.

(٢) أفلاطون : أوطيفرون، د. زكى نجيب، فى (محاورات أفلاطون)، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص١٧ وانظر نفس المحاورة ترجمة عزت قرنى ص٤٢.

كان الشعب يعتقد فيما يعلمه الكهنة اعتقادًا مطلقًا ونجد مثالاً لهذه الاعتقادات فى محاورة أوطيفرون، الذى يتقابل مع سقراط فى المحكمة يريد أن يرفع على والده دعوى يتهمه فيها بالفجور والخروج عن طاعة الآلهة.

ولكن سقراط يشد عليه الخناق فى المحاورة ليقر فى النهاية بأن إغضاب الآلهة يؤدى إلى إهلاك البشر والمدن وإلحاق الأذى والشر بهم ولذا فإن التقوى هى أن يسعد المرء الآلهة بالصلاة وتقديم القرابين، ويعلم أن الإلمام بالمسائل الإلهية أمر عسير.

ويشير إلى ذلك أوطيفرون الذى يعبر فى المحاورة عن عامة الناس والمفهوم الظاهرى للدين فيقول "إن التقوى هى بالضبط ما أفعله الآن، أى مقاضاة المذنب ... سواء ما حدث هذا وكان أباك أم أمك أم أى شخص آخر، أما عدم تقديمه للمحاكمة فإنه سيكون عملاً غير تقى. فانظر يا سقراط إلى الدليل القاطع الذى سأعرضه عليك على أن القانون هو كما أقول، وقد عرضت هذا الدليل بالفعل من قبل على آخر مبيناً أن السلوك الصائب سيكون هذا: الأنقض اللعين عن صاحب فعل فيه ضلال أيا من كان هو. ذلك أنه يأبى على الناس أن يعتقدوا أن زيوس هو خير الآلهة وأعدلهم، ولكنهم يتفقون كذلك " [1].

---

(١) راجع: د. زكى نجيب محمود مقدمة أوطيفرون، ضمن (محاورات أفلاطون)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٦.

وعلى هذا رفض سقراط الديانة الشعبية نظرًا لإخفاقها فى إقامة أوامرها على مبادئ وأسس قوية تتمشى مع عقله.

ونقد الدين كما صورته أشعار الشعراء خاصة كهوميروس مثلاً فى صور ولوحات الفنانين على واجهات المعابد، وبهذا كان سقراط يعارض المجتمع كله[١].

وهكذا وجه سقراط نقدا عنيفا لبعض التقاليد والمعتقدات، وكان فى هجومه على الشعراء يصيب الميثولوجيا التقليدية، نقد نقدًا مريرًا خرافات لها مكانتها فى الخيال الشعبى. غير أن سقراط لم يهاجم دين المدينة هجومًا مباشرًا فيما كان يبذله من جهد لتطهير الدين وتنقيته بإرجاعه إلى عناصره العقلية والأخلاقية.

وبذلك "ربط سقراط الإله بمفاهيمه عن الأخلاق والحكمة والفلسفة وبذلك يعد سقراط مؤسسًا لمذهب الفلاسفة الإلهيين وتبعه أفلاطون الذى عرف الفلسفة بأنها التشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية أى التخلق بالأخلاق التى يرتضيها الإله "[٢].

وكان سقراط يعتقد فى وجود الآلهة بصفة عامة لذا دعا إلى الاهتمام بالنفس وتقديرنا للعناية الإلهية، ووعينا لذاتنا الذى هو جوهرها، وأن التقوى من الفضائل الجوهرية، وأول شروطها النزوع نحو ما هو إلهى. وبذلك يكون سقراط أقرب إلى فكرة العناية وفقًا لتعاليمه Pyononia[٣].

---

(١) راجع: عزت قرنى، محاكمة سقراط،، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) راجع: د. مصطفى النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون، مرجع سابق، ص ٩١.

(٣) نقلا عن: كورامبس، مرجع سابق، ص ٧٨ .

ويمكن القول إن سقراط كان يساير فى الألوهية الدين الشعبى حيث كان الإغريق يؤمنون بالآلهة عامة وبكاهنة معبد دلفى خاصة. ولذا نرى سقراط فى شيخوخته يشير على صديقه بأن يستشير أبوللو قبل أن يبدأ حملة مليئة بالمخاطر[١] كما كان لا يكف عن تبجيل الآلهة المحلية، على الرغم من أنه لم يكن راضيًا عن مظاهر انقسامها على أنفسها بسبب أهوائها وما يصدر منها من انحلال خلقى.

ولقد كان سقراط يعتقد فى الوحى لذا كان يساير الروح الإغريقية فى أن زيوس إله فوق الآلهة جميعها[٢].

ولكنه سما به إلى درجة أعلى من التوحيد، فأقر بوجود إله مهيمن فوق قبة الآلهة والتى ليست غير تلك الوسائل التى يحدث بها هذا الإله الصانع الكون ما يحدث فى الكون، إنما يحدث تدبير ونظام وعناية إلهية لهذا الإله[٣]. الذى وصفه على سبيل الإشارة بالروحية والعلم والقدرة المطلقة[٤].

وتأسيسًا على ما سبق اختلف سقراط مع السابقين عليه فرفض تصورهم للآلهة على غرار البشر وبما تتصف به من عجز أو ضعف كما

---

(١) المرجع السابق، ص٩٣.

(٢) د. عبد الرحمن بدوى، أفلاطون، الكويت، ١٩٧٩، ص ٥٦.

(٣) د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ١٥٤.

(٤) المرجع السابق، ص٥٧.

رفض الذين شكوا فى وجودها، أو ذهبوا إلى إنكارها، ولكنه نظر إلى الدين نظرة أكثر عقلانية، فخرج على اعتقادهم بالدين الشعبى إلى فكرة أكثر سموا عن الألوهية، فذهب إلى القول بوجود الإله ذى العقل السامى، المدبر للكون والمسئول عن نظامه، وإن كانت غائيته تقتصر على الإنسان وحده. حيث قد وضعت الأشياء الموجودة فى الكون من أجل تحقيق رغبات الإنسان وغايته والتى تقتضى بالضرورة وجود عقل مدبر للكون ومهيمن عليه. ومع ذلك يمكن القول إن موقف سقراط النقدى من الألوهية لا يتناسب فى سموه مع فلسفته بصفة عامة ونظريته فى الأخلاق بصفة خاصة حيث جعل العلم بديلاً عن المعتقدات التى كانت موجودة بالديانات السرية حينئذ. واعتقد فى وجود الآلهة وعنايتها بالعالم والحياة الإنسانية غير أنه يرفض ما يروى عن الآلهة عند السابقين من رزائل وصراعات كما يعارض تقديمهم للقرابين أو تلاوة الصلاوات ويذهب إلى نوع من الدين الأخلاقى والعقلى ولذلك رد الدين إلى عناصره الأخلاقية والعقلية فربط الإله بمفاهيمه عن الأخلاق والحكمة والفلسفة.

رابعًا: نقد سقراط للفن :

لقد بدأ النقد الأدبى عند اليونان بتفسير أشعار هوميروس فى الإلياذة والأوديسا وأشعار هزيود وبحث قيمتها الفنية، ونقد أفكار الميثولوجيا القديمة التى تتضمنها لعدم إيمان اليونانيين بما تشيعه من أفكار فى العقيدة، وأخذ هذا النوع من النقد يتطور[1].

---

(١) راجع: د. شوقى ضيف فى النقد الأدبى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١، ص ١٢.

كان سقراط ناقدًا لعصر هوميروس الذى تميز بالتطرف العاطفى والحماسة والاندفاع بينما كان سقراط يدعو إلى التمسك بفضيلة الاعتدال وعدم التطرف فى العاطفة حتى اعتبر الحب نوعًا من العبودية، وذلك تمشيًا مع نزعته العقلية واتجاهه الأخلاقى(١).

اتخذ سقراط موقفًا عقليًا متشددًا من الفن، لذا كان المتنبئون ومنشدى الأشعار والشعراء موضعا لانتقادات سقراط الذى تناولهم بالفحص والنقد فى محاورة أيون نظرًا لادعائهم المعرفة ليصل إلى القول بأن أيون الراوية لا يعقل شيئًا من الشعر الذى يرويه والذى كان يعتمد على الوهم والخداع والتأثير فى الناس(٢).

قد أعجب سقراط بنتاج العقل فى فن أثينا الذى أخذ به أشهر فنانى عصره، الذى اعتبر نفسه فنانًا مثلهم ولذا أخذ يحاورهم متتبعًا فى نفوسهم آثار هذا العقل باحثًا عن طبيعة هذا الفن ومعايير الحكم عليه والأسس التى يمكن تقييمه على أساسها.

ويعبر عن ذلك سقراط فى محاورة الدفاع فيقول "قصدت إلى الشعراء، سواء فى ذلك شعراء المأساة أو الأغانى الحماسية أو ما شئتم من صنوف الشعر، وقلت فى نفسى: إن الأمر لا ريب مكشوف لدى الشعراء فأجدنى بإزائهم أشد جهلاً ثم جمعت طائفة مختارة من أروع ما سطرت أقلامهم، وحملتها إليهم أستفسرهم إياها لعلى أفيد عندهم شيئًا.

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف ١٩٨٨، ص ١٣٨.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، فلسفة الجمال (أعلامها ومذاهبها) الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٠.

واخجلتاه! أكاد أستحى من القول لولا أنى مضطر إليه، فليس بينكم من لا يستطيع أن يقول فى شعرهم أكثر مما قالوا هم وهم ناظموه. عندئذ أدركت على الفور أن الشعراء لا يصدرون الشعر عن حكمه، ولكنه ضرب من النبوغ والإلهام، إنهم كالقديسين أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات وهم لا يفقهون معناها.

هكذا رأيت الشعراء، ورأيت فوق ذلك أنهم يعتقدون فى أنفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئًا استنادًا إلى شاعريتهم القوية[1].

ويوضح لنا هذا النص رأى سقراط فى معرفة مصدر الإبداع فى الفن والشعر بعد أن أخذ يحاور الناس ليرى مبلغ علمهم فبدأ برجال السياسة ثم انطلق نحو الشعراء – الذين يعتقدون فى أنفسهم الحكمة – يستفسر منهم عما ينطقون من شعر فلم يجد لديهم شيئًا ذا قيمة فاستدل بذلك على أنهم لا يقولون الشعر عن معرفة وعلم، وإنما عن إلهام ووحى يشبه إلهام الأنبياء والكهنة والقديسين وأنه ليس ثمرة من نتاج العقل والوعى أو عملا إراديا يخضع للشعور والإرادة والتفكير والمنطق، كما أنه أيضًا ليس صناعة تخضع لأصول وأسباب فنية.

وعلى ذلك نجد أن سقراط عندما توجه إلى الشعراء وجدهم يصدرون أقوالهم عن إلهام وموهبة غير أنهم لا يستطيعون تفسير ما يقولون.

---

(١) أفلاطون، الدفاع، ترجمة د. زكى نجيب محمود، فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٢ – ٥٣.

هذا، ويحكى سقراط فى دفاعه كيف إنه أراد أن يختبر حكمته ذاتها ويقيسها، فذهب ليتحدث مع الشعراء فيقول:" وأظهرت لهم الفقرات الأكثر إتقانًا فى كتاباتهم نفسها وسؤالهم عن معناها، واثقًا أنهم سوف يعلمونني شيئًا، أتريدون أن تثقوا فى؟ وخجلت من قولى، ولكنى أعتقد أن أى واحد منا يستطيع أن يشرح هذه القصائد بأفضل مما يستطيعه مؤلفوها أنفسهم. حينئذ لاحظت أن الشعراء يكتبون شعرهم بإلهام عبقرى، وليس بإحساس عالم، وأنهم مثل العرافين والملهمين الذين يعبرون عن أشياء جميلة دون أن يفهموا معناها كاملاً".

ولقد تناول عدد كبير من القراء تجربة سقراط لكى يبحثوا عن مفتاح العمل فى الكاتب مباشرةً ، ولكن تبين لهم أن الكاتب نفسه لا يعرفه.

ولعل السبب في كون سقراط يتحدث على هذا النحو، يرجع إلى أفلاطون الذى كان شاعرًا يعرف كيف يوضح فى دقة معنى استعاراته ومجازاته[١].

وهكذا وجد سقراط أن الشعراء لا يعرفون ما يقولون وأن الرسامين والمثاليين لا يذهبون إلى بعث الجمال الباطن فى إنتاجهم وإنما يقفون عند الجمال الظاهرى الذى يبعث على اللذة لدى الجمهور ولا يرجع إلى موهبة طبيعية Phusei وبالتالى لا يهدف إلى التعبير عن إنتاج الخير.

---

(١) نقلاً عن إنزيك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبى، ترجمة د. الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢، ص٤٢، ٤٣.

ومن هنا عارض سقراط الفن باتجاهاته معارضة شديدة وما ارتبط به من نظرية جديدة جعلت منه غاية فى ذاته وليس وسيلة لتحقيق غاية أخرى غير ذاته [١] بل غايته إثارة اللذة وتضليل الحقيقة عند الجمهور.

وجه سقراط نقده لهوميروس وغيره من رواد الشعر والذى كانت أشعاره كالقصص الغرامية التى كانت تعبر عن وجهة نظر الأرستقراطية فى وقت متأخر من العصور الوسطى[٢]. لعدم علمهم بحقيقة ما يقولون بل إنهم ليس لديهم فن ولا علم أو معرفة، فضلاً عن أنهم كانوا لا يسيطرون على أنفسهم، ولذا رفض أفلاطون وجود الشعراء من أمثال هوميروس فى مدينته المثلى[٣] ولذلك نقد سقراط ملنيس الشاعر فى محاورة الدفاع فيقول: " ورذيلته أنه يتفكه حيث يجب الجد، وهو لا يرى غضاضة فى أن يسوق الناس إلى ساحة القضاء متسترًا وراء الحماسة المصطنعة والاهتمام المتكلف بأمور لا تعنيه فى شىء "[٤].

وهنا يهاجم سقراط كل اندفاع وحدانى أو حماسة مع سخرية لملتيس وغيره ممن عمدوا إلى التأثير فى الجمهور بإثارة ما فيهم من انفعالات، تحقيقًا للمتعة والإثارة. ويستنكر سقراط أن ينظر إليه باعتباره ممن يهتمون بموضوعات الفن فى محاورة فيدون فيقول: " لا أحب لأحد ممن سمعنى

---

(١) راجع : د. أميرة مطر، المرجع السابق، ص ٣١.

(٢) راجع: رسل، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٣) راجع: د. على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى، من طاليس إلى أفلاطون، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٧٢، ص ٢٧.

(٤) أفلاطون، الدفاع، مصدر سابق، ص ٥٥.

الآن، حتى ولو كان أحد أعدائى القدماء من الشعراء الهازلين، أن يتهمنى بالتخبط فى الحديث عن موضوعات لا شأن لى فيها "[1].

كما كان سقراط عدوا للبلاغة وفى ثنايا دفاعه عن نفسه – تجاه التهم المنسوبة إليه – نراه يلتمس المعذرة من قضاته عن أسلوبه الذى لا زخرفة فيه ولا زينة، ولن يتستر فى شىء من الخداع والزيف بما ينمَق من عبارة الخطاب وهذا ليس عجزًا منه فنراه يقول: " لست أدرى أيها الأثينيون كيف أثر فهمى فى نفوسكم، أما أنا فقد أحسست لكلماتهم الخلابة أثرًا قويًا أنسيت معه نفسى، وإنهم لم يقولوا من الحق شيئًا، ولشدة ما دهشت إذ ساقوا فى غمرة أباطليهم نذيرًا لكم أن تكونوا على حذر، فلا تخدعكم قوة فصاحتى، إنى إذا نبستُ ببنت شفة نهضت لكم دليلاً على عى لسانى وافتضح أمرهم وأنهم بذلك علمونا ولكنهم يمارون ولا يخجلون، أم تراهم يطلقون الفصاحة على قوة الحق ؟ إذًا لأشهدت أنى مصقع بليغ ..... ألا ما أبعد الفرق بينى وبينهم إنهم كما أنبأتكم؛ لم ينطقوا كلمة صدق أما أنا فخذوا الحق منى صراحًا، ولن أصوغها عبارة خطابية منمقة كما فعلوا"[2].

ويتضمن النص السابق الكثير من الآراء النقدية لسقراط فيما يتعلق بوجهة نظره فى وظيفة اللغة، والبلاغة، والخطابة، ومصدر الإبداع لدى الشعراء، لينتهى إلى أن لغة الأدب لا تؤدى إلى الحقيقة نظرًا لاعتمادها على أساليب الزخرف والخداع، والحيل البلاغية والتى تنطوى أيضًا على

---

(١) أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب، مصدر سابق، ص ١٣٢.

(٢) أفلاطون، الدفاع ، ترجمة د. زكى نجيب محمود، مصدر سابق، ص ٤٧.

تزييف العبارات الخطابية لاستمالة الجماهير والتأثير على أفكارهم بعيدًا عن استخدام لغة العقل والمنطق التى يرونها غير كافية لمخاطبة الجماهير.

ويذهب سقراط ليحدد المعرفة اللازمة للخطابة الحقيقية True Rhetoric والتى لا تتوافر إلا لقلة من الناس، يقول سقراط: " يجب على الخطيب أن يبدأ بتفهم طبيعة الروح وعلاقتها بما هو إلهى، وأن يكون قد أخذ لمحة سريعة عن الصور المثالية التى توجد فى العالم السماوى دون أن يراها عامة البشر، .... بل لا بد من غرض أسمى يدفع الحمية والنشاط فى روح الدارس لفن الخطابة الحقيقى، من أجل تحقيق الكمال الروحى وخدمة الآلهة "[1]، كما يرفض سقراط المشاركة السياسية لتحقيق الكمال الروحى كما فى محاورة الدفاع.

ويشن سقراط هجومًا عنيفًا على الخطابة، ينظر فيه إلى الخطابة العملية نظرة سيئة يسوى فيها بين الخطابة والنفاق. ولذا نرى سقراط يهاجم جورجياس وهو من أعظم معلمى الخطابة فى عصره فيقول: " إن الخطابة حرفة ليس فيها شىء من الفن، ولكنها إظهار لروح فطنة جسورة تميل بطبيعتها للتعامل بمهارة مع البشر ثم يضيف سقراط " إننى ألخص مادتها فى خلاصة أسميها النفاق. هذه الحرفة، كما أراها، لها فروع كثيرة، أحدها الطبخ، الذى يبدو حقيقة كفن ولكنه مجرد عادة أو مهارة ... والخطابة هى فرع منه، باعتبارها حلية شخصية وسفسطة ".

---

(١) آى. أف. ستون، محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٤.

وينتهى سقراط فى حديثه قائلاً: "الخطباء شأنهم شأن الشعراء، يهتمون بامتداح المواطنين وإشباع غرورهم ... مضحين بالصالح العام من أجل منافعهم الشخصية ثم يتصرفون إزاء مجالسهم تصرفهم مع الأطفال".

ويعد هجوم سقراط على الخطابة احتقارًا واستهزاء للعامة من الناس فى أثينا فضلاً عن نظرته الوضيعة إلى شعراء التراجيديا باعتبارهم جميعًا محترفى نفاق. لذا ينظر سقراط إلى الشعر التراجيدى على أنه نوع من الخطابة فهو فن لا يقبله ولا يسميه بالنفاق من حيث إنه موجه إلى جمهور يتكون من الأطفال والرجال والنساء ومن الأحرار والعبيد أيضًا، وهو فن لا نقبله إذ نسميه نفاقًا.

وكان سقراط معارضًا للسوفسطائيين من معاصريه ولذلك كان فى حواره معهم يسألهم عن فنهم وما قدموه من معرفة وحكمة.

وقد صور ذلك أفلاطون فى الدفاع الذى حكاه عنه أثناء محاكمته، فقد بدأ الكلام بدون تنميق ثم أخذ يرد على خصومه من الفلاسفة والشعراء. فسأل الشعراء عما يعنون بأشعارهم، فلم يستطيعوا جوابًا، فعرف أنهم مجردون من الحكمة وأن كل ما عندهم إنما هو موهبة أو وحى، فهم مثل الكهنة والأنبياء ينطقون بالكلام البليغ دون أن يعرفوا ماذا يقولون، غير إن سقراط لم يعنيه أن يضع فى الشعر نظرية فى النقد، ولكنه مارس ذلك عمليا وربما تركه لتلميذه أفلاطون.

ويعارض سقراط المعيار الحسى المرتبط بنظرية اللذة الجمالية الذى كان يشدو به شعراء عصرِه وفنانوه، ولذلك لم يكن اهتمامه بالجمال الحسى قدر اهتمامه بالجمال الباطن أى جمال النفس والأخلاق الفاضلة، ومن ثم

نراه ينصح بضرورة عناية الفنان فى الرسم والنحت بإبراز انفعالات النفس الباطنة والتعبير عن أحوالها على الوجه والعينين لتأكيد الجمال الخلقى إلى جانب إبراز جمال الصورة، ويترتب على ذلك إشادة سقراط بالحب المثالى الذى تلهمه فينوس السماوى، أما حب الجسد الذى ينهض على الجمال الحسى الخالص فإنه لا خير فيه لكل من المحب والمحبوب.

كما وجه سقراط نقده للموسيقى " لاعتمادها على التخمين والمحاكاة، ولكونها ينقصها النقاء "[١].

وتأسيسًا على ما سبق يرفض سقراط أيضًا المعيار الحسى المرتبط بنظرية اللذة الجمالية عند جورجياس وآخرين من الخطباء والفنانين لأنها يعوزها العنصر الجمالى الذى تنطوى عليه أخلاق بنى الإنسان من حيث إنهم كانوا يحفظون قواعد مدروسة، لا تجعل من الفن معيارًا أخلاقيًا يكون مرجعه الذات العاقلة، وإنما فصلت بين الجمال الحسى وقيم الحق والخير مما أدى إلى الانحلال الخلقى والتدهور الفنى، ولذا فهى ليست قادرة على إيجاد الفن الأصيل[٢].

هذا ولقد ظهر لبعض الفنون المستحدثة إبان القرن الرابع أى عصر الديموقراطية أثرها كفن الخطابة السوفسطائية والشعر التمثيلى، فضلاً عن الاتجاهات الفنية التى انتشرت فى النحت والتصوير عند فنانى عصره الذين سعوا إلى التأثير فى الجمهور من خلال إثارة ما فيهم من انفعالات

---

(١) نقلاً عن كوبلستون، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢) راجع: د. أميرة، المرجع السابق، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

وعواطف ولذا اعتمدوا على الواقع الحسى، وأخذوا بالمظهر بعيدًا عن الحقيقة المعقولة مع عدم مراعاة الأهداف الميتافيزيقية والأخلاقية التى كانت تميز الفن القديم المحافظ .

ولذلك كان أشد ما أثار حفيظة سقراط وتلميذه ضد معاصريه السوفسطائيين هو تحرر الفنون والقواعد والتقاليد المتوارثة التى كانت تضع من قبل ضوابط للفن قديما وتوجهه إلى خدمة الأهداف الدينية والمثل الأخلاقية القديمة.

ولذلك رفض سقراط بشدة الاتجاهات التى كانت سائدة فى عصره والتى كانت تمثل ثورة على القديم، ولذا لم تعد التراجيديا تحفل بالقديم وإنما أضحت تصويرًا للواقع مع التعبير عن انفعالات البشر. كما عمدت فى فن التصوير إلى التلاعب بالضوء والظلال مع استخدام الخداع البصرى.

أما فن النحت فقد اتجه اليونانيون إلى إبراز معالم الجسم الإنسانى وجزئياته وكما لحق التحديد الموسيقى، بل إنه شمل حياة الفن والفكر أيضًا مما دعا سقراط إلى أن يتخذ موقفا نقديا من الفن تمثل فى اتجاهه العقلى والأخلاقى المتشدد الذى اتجه نحو تحقيق غاية أخلاقية واحدة وهى الطهارة الروحية مع العناية بالنفس وفضائلها وطرح كل القيم المادية التى ازدادت حدتها فى عصره[١]. كما كان سقراط يهاجم تحامل شعراء الكوميديا ضده[٢].

---

(١) راجع: د أميرة مطر، المرجع السابق، ص١٠.

(٢) راجع: ستون، مرجع سابق، ص ١٥٥.

ونخلص مما سبق إلى أن سقراط كان يرى أن وظيفة الفن وغاية الجمال ينبغى أن توجه لخدمة الأخلاق وهو ما أثار عليه الشعراء، وهذا ما سخر منه أريستوفان الذى يرى أن سقراط دائم النقد للجمال الحسى ذاهبًا إلى التوحيد بين الجمال والخير.

ولكن لم يكتف سقراط بالمعارضة والنقد فحسب، بل استطاع أن يضع الشروط الضرورية لنظرية إيجابية فى الفن خلافًا للنظرية السابقة، ترى أن للفن وظيفة وهى خدمة الحياة الأخلاقية. وبذلك استطاع سقراط أن يضع البدايات الأولى لنظرية تخضع الجمال للخير وتجنده لخدمة السلوك الأخلاقى والأهداف السامية.

وهكذا كانت فلسفة سقراط اتجاهًا مضادًا للاتجاهات والقيم الدنيوية التى كانت سائدة فى هذا العصر، حيث كان الفن خاويًا من الحقيقة والمعرفة، والقيم التى تعتمد على التمويه والخداع للتأثير على العامة بقصد إدخال المتعة والسرور وخلق اللذة غير أنها عجزت عن التعبير عن الجمال الهادف الذى كان غايته الخير لا اللذة الحسية.

خامسًا: نقد سقراط للنفس:

اختلف سقراط مع السابقين عليه فى توجيه الفلسفة من البحث فى الكون إلى البحث فى النفس البشرية، والتى لعبت لديه دورًا محوريًّا، كما شغلت تلامذته الذين ساروا على نهجه، فيرى أن المرء لا يمكنه أن يعرف كل الأشياء إلا إذا عرف قبل كل شىء أجدر الأشياء بعنايته وأقربها إليه وهى نفسه.

ولذلك اتخذ من عبارة معبد دلفى: " اعرف نفسك " شعارًا لفلسفته حيث يكتشف الإنسان بنفسه الحقيقة التى بداخله، بعد أن يحلل العقائد التى يمتلئ بها ذهنه وفكره.

ولذا قال عنه شيشرون عبارته الشهيرة " إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها المنازل وجعلها تسوس أفعال البشر"(١).

وتعبر هذه العبارة عن فحوى أخلاقى مستمد مما ينتج عن هذه المعرفة بالنفس من توجيه الإنسان فى سلوكه وحياته وجهة معينة، أكثر من كونها تسفر لنا من نظرية خاصة فى طبيعة النفس ومصيرها. ولذا عارض سقراط تلك النظرة السائدة إلى النفس Psykhe عند عامة اليونانيين باعتبارها تلك المادة البخارية التى كانت تحفظ الحياة وتقيمها، دون أن تكون مصدرًا للوعى، ولا منبعًا للأخلاق.

ورفض سقراط ما ذهبت إليه الأروفية والفيثاغورية من أن تكون النفس مجرد مبدأ للحياة، مع تأثره بهما، وإنما هى الذات الأخلاقية باعتبارها مصدرًا للسلوك الفاضل والذى لا يتأتى إلا بمعرفة النفس التى هى حقيقة الإنسان(٢).

كما يرفض سقراط فناء النفس بمفارقة البدن، ويعترض على ما ذهبت إليه النزعة الأورفية من أن أرواح الموتى كائنة فى العالم الأدنى، وأن الأحياء إنما يستمدون أرواحهم منها، وهنا يذهب سقراط مؤيدًا ذلك

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص ١٤٥.

(٢) راجع: د. عزت قرنى، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، الكويت ١٩٩٣، ص ١٣٦.

برأى فلسفى وأن التضاد يتولد أحدهما عن الآخر وهى ليست انتقالاً من الحياة إلى الموت وإلا انتهى كل شىء إلى الموت ولما أمكن لدورة الطبيعة أن تكتمل فلا تكتمل إلا إذا انتقل الموت بدوره إلى الحياة، فيصدر الأحياء عن الأموات كما يعود هؤلاء الأحياء أنفسهم إلى الموت[١].

وفى محاورة فيدون يشير إلى مذهبهم فيقول:" هناك مذهب جرت به الألسنة فى الخفاء بأن الإنسان سجين، وليس له الحق فى أن يفتح باب سجنه ليفر هاربًا"[٢].

كما عارض القول بأن الأرواح تحيا بعد الموت فى هادس أقرب إلى أشباح باهتة اللون[٣] و تعنى النفس عند هيرميروس الشبح Ghost وهو ما يخرج من الميت عند احتضاره، فهى ليست إلا " النفَس" يستنشقه الإنسان الحى ويخرج منه فى حالة منيته، وعلى حين أن النفس Phyche عند سقراط كانت تعنى الجوهر العاقل والإلهى معه الإنسان[٤].

وينبذ سقراط ما فى المذهب الأورفى من طقوس تطهيرية وخرافات، ولا يقبل منه إلا التعاليم الرئيسية على الرغم من أنه يعد قديسًا أورفيًا تمامًا، حيث نراه فى ذلك الصراع الذى ينشب بين الروح السماوى والجسد

---

(١) راجع: د. زكى نجيب محمود، مقدمة (فيدون) القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠٤.

(٢) راجع: د. الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، قبل سقراط، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) راجع: د. أميرة مطر، دراسات فى الفلسفة اليونانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٢.

(٤) راجع: رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الأول، ترجمة د. زكى نجيب، ط ٢ لجنة الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٥٦.

الأرضى ينتصر لصالح النفس على البدن انتصارًا قاطعًا. ويعد عدم اضطرابه من الموت فى النهاية، من البراهين التى تؤكد استمرار السيطرة للنفس على البدن وانتصارها[١].

ولذلك عارض سقراط تلك النظرة التى كانت سائدة فى التربية عند اليونان والتى تضع العناية بالبدن فى المقام الأول ورأى ضرورة أن تصبح الرعاية بالنفس واجبة قبل البدن.

نقد سقراط آراء الفلاسفة السابقين عليه من حيث تعريفهم للنفس بأنها مادية، لا تختلف عن أى جزء من أجزاء الطبيعة إلا من حيث التعقيد واللطافة والرقة ومن هنا نقد معظم الفلاسفة السابقين عليه لنزعتهم الحيوية Hylozooism حيث كانت المادة تتسم بالحياة[٢] وإن النفس هى المحرك وهى فى الوقت نفسه من نوع الأشياء المتحركة، ولذا نقد قول طاليس بأن كل الأشياء مليئة بالآلهة والنفوس والذى يتعارض مذهبه مع الفكر العام الذى يرى أن الحياة تختلف عن الصورة الجامدة للمادة[٣]. كما رأى أنكسمانس أن العالم له نفس وهى الهواء وأن نفس الإنسان هى حياة الجسم[٤].

أما هيرقليطس فيرى أن النفس الإنسانية لا يمكن كشف حدودها وهى تنتشر فى جميع البدن، وأن خاصيتها الذاتية تحريك البدن وإحياء عناصره.

---

(١) راجع: د عزت قرنى، المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة عند اليونان، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٧.

(3) Burnet, the Socratic of the soul, British Academy 1987 .

(٤) راجع: د. مصطفى النشار، المرجع السابق، ص ١٢٩.

ولقد أكد سقراط خلافًا للسابقين عليه سيطرة النفس على البدن باعتبارها الجوهر العاقل، الذى ينفرد بالنشاط العقلى والأخلاقى، وليس كما ذهب معظم الفلاسفة السابقين عليه من أن الكائن الحى يتحرك بالنفس وهى فى نفس الوقت من نوع الأشياء المتحركة. ولهذا استطاع سقراط ولأول مرة أن يميز طبيعة النفس باعتبارها الجوهر العاقل والإلهى فى الإنسان وبين طبيعة البدن باعتبارها الجانب الأرضى المادى الفانى من الإنسان.

ومن هنا فإن الأدلة التى قدمها لخلود النفس من حيث إنها تشبه فى صفاتها الجانب الإلهى ولذا فهى تخلد[١] أما البدن فمادته أرضية وهو الذى يفنى ولذلك قال سقراط فى نهاية فيدون " إننى بعد أن أكون قد شربت السم لن أبقى بينكم بل سأذهب راحلاً إلى نعيم السعداء .... فيجب إذًا أن نتشجع وأن نقول: إن الذى ندفنه إنما هو جسدى ولندفنه على النحو الذى نحبه "[٢].

ولهذا تتحول المناقشة السقراطية فى محاورة فيدون إلى عملية تحليل رياضى نجد له تطبيقًا واضحًا فى البراهين التى ساقها سقراط فى محاورة فيدون على خلودها. نقد سقراط التناسخ عند الفيثاغورية التى استمدتها من الأورفية والتى تعتقد بأن الإنسان مركب من عنصرين أحدهما إلهى والآخر أرضى. وأن الروح تعود بعد الموت إلى بدن حيوان أو إنسان وذلك باتباعها لبعض الطقوس التطهيرية التى تؤدى إلى خلاصها وعودتها إلى حيث كانت وهو ما كان يطلق عليه " عجلة الميلاد "[٣].

---

(١) أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب، مصدر سابق، ص ١٦٠.

(٢) راجع: د. مصطفى النشار، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣) راجع: د. أحمد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ٧٧ – ٧٨.

كان فيثاغورس موقنًا بوجود نفسه فى أبدان أخرى سابقة تبدأ من إله الحكمة (هرمس) نظرًا لاعتقاده فى تناسخ الأرواح، وبأن النفس جوهر إلهى هبط وسُجن فى البدن[1] ولا تنفك عنه إلا بعد أن تنتهى من فترة العقوبة.

وهكذا نقد سقراط نظرية التناسخ فى كلا المذهبين الفيثاغورى والأروفى لعدم وجود أدلة عقلية تبرر القول بتأليه النفس وخلودها، وبالتالى فإن الأدلة لم تقم على إثباتها. ولذا فقد رفضها سقراط، ورأى أنه لا يمكن الأخذ بها، هذا " والفيلسوف الحق هو الذى يطلب الموت، بحسب عبارة سقراط، أى الوصول إلى الحياة الخالصة للنفس بدون البدن، وعامة الناس يعتقدون أن اتصال النفس بالبدن حياة، وانفصالها عنه موت ولكن حياة العامة فى حقيقتها موت، وموت الفلاسفة حياة، لأن العامة يتعقلون بمطالب الأبدان وينغمسون فى اللذات والشهوات الحسية، ويفضلون مطالب النفس وهى البحث عن العلم وطلب المعرفة، فهم على قيد الحياة ذوو نفوس ميتة.

أما الفلاسفة فيعدون أنفسهم للحياة، ذلك بالموت، أى بالعمل على فصل النفس عن البدن واستقلالها، وذلك من الأمور عدة.

كلما اختلف سقراط أيضًا مع الماديين من معاصريه فى مفهومه للسعادة والتى أوجزها فى طهارة النفس وقناعتها والتى يجب على المرء أن ينشدها ويتجه إلى بلوغها بالعقل ودقة التخطيط والتى يتحقق بها خير

---

(١) راجع: د. أحمد الأهوانى، أفلاطون، ط ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ٩٢.

الأقصى أى سعادته. هذا خلافًا لما ذهب إليه أرستيبوس " القورينائى من معاصريه فى أنه كان يوجد بين السعادة واللذة الحسية، فضلاً عن غيره من هؤلاء الذين كانوا يرونها فى السلطان أو المجد أو الجاه"[١].

وتأسيسًا على ما سبق فإن سقراط قد أكد للنفس السيادة على البدن وبكونها الجوهر العاقل الذى ينفرد به الإنسان عن بقية الكائنات، ولذلك أعطى للعقل الأولوية والمكانة الأولى فى فلسفته، ولذا كان له السيطرة على سائر تصرفات المرء وسلوكه، ومن ثم فإن الفضائل عند سقراط تصدر عن العقل باعتبارها معرفة ما ينبغى أن تؤديه فى أحوال خاصة، فمعرفة الإنسان بنفسه هى الطريق الوحيد لتحقيق الفضيلة، ولذلك كان جهد سقراط موجهًا إلى إيقاظ المعرفة الكامنة فى النفوس والتى كانت لديه القدرة على أن يستخرج الحقيقة منها والتى نتج عنها مذهبه الأخلاقى.

لقد كان اتجاه سقراط الروحى رد فعل ضد الاتجاه المادى الذى كان مسيطرًا على معاصريه، فقد ذهب أنبادوقليس إلى القول بوجود نوعين من الجواهر أحدهما مادى والآخر حركى، فأما المادى فهى العناصر الحركية كالحب والبغض اللذين يحركان العناصر المادية حركة آلية، ولذا يعد أنبادوقليس أول من فرق بين المادة وسبب حركتها بحيث أصبحت حركتها تعود إلى مسبب آخر غيرها[٢].

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، المرجع السابق، ص ١٥٥.

(2) Aristotle, De Anima with Commentary of st Thomas Aquinas Rutledge London, 1959, P. 69.

ومع ذلك فقد كانت النفس لديه مادية نتيجة لتجمع الذرات وتفرقها. وما هى أيضًا إلا تلك الحركات البدنية والتغيرات الفسيولوجية التى تعترى المخ.

كما ذهب ديمقريطس إلى أن "النفس نوع من النار والحرارة"[١] ولكن انكساجوراس قد فرق بين العقل والمادة[٢]. ويمكن القول إن سقراط قد وجه نقده إلى الفلسفة فى عصرها الأول خاصة اتجاهها نحو الطبيعة الخارجية وعدم البحث فى الطبيعة الداخلية، وعدم التفرقة بين الروحى والمادى كما نقد قولهم: إن المادة حياة وإن الطبيعة كائن حى، ولذلك كانوا يفسرون الظواهر النفسية تفسيرًا طبيعيًا (ماديًا) صرفًا، ورأى أن النفس تسيطر على البدن وتوجهه وتقوده دون أن تكون ظاهرة مادية محسوسة، وهى التى تحرك البدن مستعينة بالعلم حيث أحل سقراط العلم محل معتقدات الديانات السرية، وجعله وسيلة لطهارة النفس، هذا ومع اهتمام سقراط بالطبيعة الداخلية إلا أن فلسفته كانت تحتوى على نواة فلسفة فى الكون ولكن العلم سابق على القدرة والإرادة، فالنفس موجودة فى جميع أجزاء البدن وهى قادرة على أن تحدث كل الأفعال والحركات التى تنتج عن البدن وهى خالدة، فيقول سقراط لسيبياس " إن الروح خالدة بغير شك، وهى مستعصية على الفناء وستحيا أرواحنا حقا فى عالم آخر " [٣].

---

(١) أرسطو، كتاب النفس، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٩ – ١٠.

(٢) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ص ٤٧.

(٣) أفلاطون، فيدون، ترجمة: د. زكى نجيب محمود، مصدر سابق، ص ١٩٤.

وتجدر الإشارة إلى أن سقراط وإن كان يعتقد بتمايز النفس على البدن وأنها لا تفنى بفنائه، وتخلص بالموت من سجنها لترجع إلى صفاء طبيعتها غير أنه لا يكشف عن نظرية خاصة فى طبيعة النفس ومصيرها عند سقراط بقدر ما يكشف عن مضمون أخلاقى مستمد مما يترتب على هذه المعرفة بالنفس والتى هى السبيل إلى تحقيق الفضيلة من توجيه معين لحياة الإنسان وسلوكه.

سادسًا: نقد سقراط لنظرية المعرفة:

لقد جعل السوفسطائيون المعرفة تكتسب بالتربية وفى متناول كل فرد ومن ثم فلا مجال عندهم للثابت والكلى والمطلق والضرورى والغيبى والمسلمات غير المشروطة مع توجيههم للفلسفة من البحث فى معرفة الكلى إلى البحث عن الإنسان، ولهذا كان سقراط خصمًا عنيدًا للسوفسطائيين ولتلاميذهم. ولذلك استخدم نفس طريقتهم فكان يجادل الناس ويحاورهم فى كل مكان، بل وأينما وجدوا[1] ليثبت وجود الحقائق الثابتة فى الواقع الخارجى، ويؤسس المعرفة على العقل ليكون أداتها وليس الحس، خلافًا للسوفسطائيين الذين رأوا أن الحس هو أداة المعرفة التى تتمثل فى الإدراكات الجزئية التى تصل إلى الذهن عن طريق الحواس، وبذلك يصبح الإدراك الحسى هو مصدر جميع معارفنا ومعلوماتنا وبالتالى فلن نعرف

---

(١) راجع: د. على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس إلى أفلاطون، ط ١ الإسكندرية، ١٩٧٢ ص ١٢٥.

من الحقيقة إلا هذه الصورة المختلفة التى تأتينا من الحواس والتى يختلف الناس فى إدراكها.

تناول سقراط جميع معارف السوفسطائيين بالرفض والنقد لكى يعيد بناءها على أساس عقلى ومنطقى سليم، حيث ذهب السوفسطائيون إلى زعزعة العقيدة فى نفوس الناس وإثارة الشك فيها مع قولهم بنسبية المعرفة وبالتالى استحالتها ومن ثم فلا مجال لاستمرار المعرفة أو العلم ولكن سقراط عارض فكرة العلم عند السوفسطائيين، محاولاً أن يضع علم الخير أو معرفة الخير بدلاً من تلك العقائد الموروثة، واستطاع سقراط أن يضع الصورة النهائية للمذهب الأورفى والفيثاغورى القديم، وأن التطهير الحقيقى للنفس يكون بتخليصها من جميع الآراء القديمة لتعود إلى حالتها الأولى ليتيح لها علم الحقيقة ومعرفة الخير.

لقد كانت مهمة سقراط أن يقيم المعرفة على أساس عقلى بعيدًا عن الحواس، وبذلك يثبت خلافًا للسوفسطائيين وجود الحقائق الثابتة فى الواقع الخارجى من حيث إن الجميع يدركها بالعقل الذى هو واحد وعام ولا يختلف أحد عن الآخر فى إدراكه بين الجميع ولا يختلفون فى إدراكه، وبذلك عارض سقراط السوفسطائيين فى قولهم بأن المعرفة الحسية هى المعرفة الحقة والتى يمكن تحصيلها بالمهارة والخبرة، أكثر من العلم نظرًا لأنهم أعطوا أولوية لأمور ثانوية (كالشهرة والثروة) على العناية بنفوسهم من طلب الحكمة والحقيقة.

لقد كرس سقراط حيَاته لمقاومة مذهب الشك عند السوفسطائيين فيقول جورجياس: "إننا لن نصل إلى الحقيقة، ولن نشارك الغير فيها حتى على

فرض وصولنا إليها ... فالاحتمال أقوى من الحقيقة فى يد الخطيب، والإقناع يأتى مـــن الاحتمال وليس الحقيقـــة، فـــلا فائـــدة إذاً مـــن اليقين (الحقيقة).

ولقد ترتب على شك السوفسطائيين فى إمكانية المعرفة رفضهم لكل المعايير والقيم المطلقة سواء كان مصدرها إلهى أم غيره، بل ذهبوا إلى جميع التشريعات القانونية والأخلاقية من صنع البشر ولذا ينقصها الكمال إذ تقوم على المنفعة دون مراعاة لأخلاقياتها(١).

فيقول سقراط: " إننى أعرف أننى لا أعرف "وتوجه إلى العامة من الناس وأصحاب الحرف ويقول: إنهم يعرفون أشياء كثيرة لا أعرفها، فأنا جاهل بها، ولهذا فهم حكماء أكثر منى "إنهم يدعون أنهم يعرفون أشياء كثيرة أجهلها أثارت كل موضوعات المعرفة وهذا عيب فيهم حجب عنهم الحكمة "(٢).

وهنا نجد سقراط يصف أدعياء المعرفة بأنهم يعرفون كل موضوعات المعرفة على حين أنهم يجهلونها كما كان الخلاف بين سقراط وثياتيتوس فى أن الإحساس هو موضوع المعرفة.

وهكذا كان الخلاف بين سقراط والسوفسطائيين كبيرًا مما دفع بسقراط إلى هدم الأفكار الخاطئة التى كانت عالقة بالأذهان قبل بحثها

---

(١) راجع: د. عزت قرنى، تطور مفهوم اليقين فى فلسفة أفلاطون، مرجع سابق، ص ١٥.

(2) Plato, Apology, the works of Plato selected and Ediled by liwin, the modern library, New York. 1956 P. 65.

مؤكدًا على إمكانية المعرفة، رافضًا القول باستحالتها مبرهنًا على جهلهم ومنكرًا المعرفة التى يدعون إلى أنفسهم الإحاطة بها[١].

كما يدحض سقراط رأى بروتاجوراس فى قوله بأن الإنسان مقياس كل شىء وبذلك يعد مقياسًا لكل الحقائق فما يبدو لى على أنه حق فهو حق بالنسبة لى، وما يبدو لك على أنه حق فهو حق بالنسبة لك. ومعنى ذلك أن ما يبدو أو يظهر هو الحق، فليس هناك حقيقة سوى الظاهرة ومن ثم اتحدت الحقيقة مع الظاهرة وأصبحتا شيئًا واحدًا فنحن نعرف الحقيقة عن طريق الإحساس فالمعرفة هى الإدراك الحسى وبذلك تختفى التفرقة بين الحس والعقل، كما يدحض سقراط أيضًا آراء أقراطيلوس وغيره من الهيرقليطين الذين يرجعون المعرفة إلى الإحساس ويقصرونها على الظواهر الجزئية المتغيرة والتى تختلف باختلاف الأفراد وفقًا لما يراه كل شخص. وبذلك تصبح كل الآراء المتضاد منها والمتناقض صادقة على السواء[٢]. ومن ثم لن ندرك ماهيات الأشياء. فيستحيل بذلك العلم والعمل معًا وهنا يرفض نظرية السوفسطائيين فى المعرفة، ولذلك جعل سقراط المعرفة الحقة مصدرها العقل وموضوعها الماهية المجردة الضرورية[٣].

وهكذا وجه سقراط كل جهده ليهدم خصومه من السوفسطائيين لشكهم فى المعرفة ولاعتمادهم على الإحساس وقولهم بأن المعرفة حسية ومن ثم

---

(١) راجع: ك. س. خيرى، الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، ترجمة د. رأفت حليم سيف، الطليعة، ١٩٨٨، ص ٧٦ – ٨٣.

(٢) راجع: رسل، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(٣) راجع: يوسف كرم، المرجع السابق، ص ٦٩ –٧٠.

تصبح المعرفة حسية جزئية ومتغيرة وأن الإحساسات صادقة وهى معيار الحقيقة، مما أدى إلى نسبية تامة يتصورها كلٌ على حسب ما يراه، لارتباطها بالأفراد واعتمادها عليهم، فالوجود يتوقف بذلك على المدرك. وأن الصفات المختلفة من وضع الإنسان ولا يمكن أن يقال إن لها وجودًا حقيقيًا فى الخارج، وبذلك ساهم السوفسطائيون فى توجيه الفلسفة من البحث فى معرفة الكلى إلى البحث عن الحياة الإنسانية(١).

ومن هنا وجه سقراط كل جهده من أجل البحث عن شروط المعرفة والتى ستصل به إلى البحث عن الحقيقة أو اليقين فى الوقت نفسه.

وبذلك استطاع سقراط أن يعيد على أساس جديد ثقة الناس فى أن الحقائق فى العالم الخارجى ثابتة بعد الشك فى إمكانها، فأحل العلم والمعرفة محل التصديق الساذج، وبذلك رفض أن تكون الإدراكات الحسية أساسًا للعلم. ورأى أن المعرفة تتمثل فى الإدراكات العقلية والتى أقامها على أساس العقل الذى هو قاسم مشترك بين جميع الناس لا يختلف باختلاف الأفراد ولا الأحوال، حيث يدركها العقل دائمًا على صورة واحدة ومن ثم فهى كلية ثابتة موضوعية غير متأثرة بالأفراد. ومن هنا يقصر سقراط العلم على المعانى الكلية والإداركات العقلية فى نظريته للمعرفة على العقل بعيدًا عن الحس ليصل إلى الماهيات.

---

(1) T. Oizerman, Problems of the History of philosophy, P. 29.

سابعًا: نقد سقراط للأخلاق:

لقد وجه سقراط الفلسفة اتجاهًا جديدًا مغايرًا للسوفسطائيين حيث اهتم كثيرًا بالمسائل الاجتماعية والأدبية والأخلاقية التى عارضوها وشككوا فيها مثل العقل، والحق، والعدل. وقد تصدى سقراط لهم حين أثاروا اهتمام الناس بالجدل وتعمدوا زعزعة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية. وكما عارض سقراط كل سلوك نفعى حسى يدعو إلى اللذة ويميل إلى تغليب الحواس والانفعالات ودعا إلى دراسة السلوك وتهذيب الأخلاق، ويعد سقراط مؤسسًا للفلسفة الأخلاقية القائمة على العقل والمعرفة. لذا كان للأخلاق المقام الأول عند سقراط لأنها تبحث فى الماهيات والفضائل باعتبارها أهم شيء فى حياة الإنسان وهى التى توجه سلوكه. ولذلك أراد سقراط أن يعرف المعانى الأخلاقية تعريفا عاما فبدأ يبحث عن التصورات الكلية وماهيات المعانى.

جعل سقراط من الإنسان وأخلاقه شغله الشاغل فاتجه إلى دراسته وسبر أغواره مستعينًا بطريقته الجدلية مستهدفًا توجيه الناس إلى طريق الفضيلة باعتبار أن أهم ما يهم الإنسان فى حياته هو الأخلاق باعتبارها محور ماهيته.

ويرى سقراط أن للإنسان نفسًا تحل فى جميع أجزاء جسمه وتسيطر عليه وتوجهه نحو الخير، وهذه النفس غير مادية لا محسوسة، ولذا قال إن الطبيعة الإنسانية روح وعقل يسيطر على الحس ويديره، وهو بذلك يعارض السوفسطائيين الذين يذهبون إلى أن الطبيعة البشرية شهوة وهوى.

وكانت الأخلاق عند سقراط غاية الحكمة، فهو الذى استطاع أن يحدد لها منهجا عاما، تمكن من خلاله تحديد المشكلة الأخلاقية، وتوضيح معالمها، وبلورة مباحثها فى علم قائم بذاته له مناهجه وأسسه بعد أن كانت الأخلاق قبله مجرد مجموعة من النصائح والحكم التى تجرى على ألسنة الحكماء والشعراء أقوالاً مأثورة فى بعض الأمور، فلم تكن الأخلاق سوى نصائح تهدف إلى تحقيق السعادة.

لكن سقراط كان يبحث عن أساس للفضيلة والأخلاق ليهدم من خلاله التعاليم السوفسطائية التى شجعت الأثينيين على البحث عن اللذة والمنفعة والمصلحة، وكان سقراط يهدف إلى معرفة حقيقة الفضيلة ليعلمها للناس حيث كان يبحث عن التصور العقلى والمعنى الكلى للفضيلة غير أنه لم يتوصل فى محاوراته إلى تلك التعريفات العامة فغالبًا ما كان ينتهى مع محاوره إلى نتائج أو يصل إلى طريق مسدود. ولكن خلص سقراط إلى أن الفضيلة هى الخير الذى يقوم على الحكمة.

ومن هنا أقام سقراط الأخلاق على المعرفة والتى تعتمد على نظريته فى معرفة النفس فهذه المعرفة تقتضى توجيهًا معينًا لحياة الإنسان وسلوكه، فمعرفة النفس هى معرفة أيضًا بالخير وتحقيق للفضيلة، ذلك لأن من يعرف نفسه يعرف بالتالى ما يناسبها وما لا يناسبها فهو يعرف الحيز الخاص بها[1].

---

(١) راجع: د .أميرة مطر، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ١٥٥.

ومن ثم فإن معرفة النفس هى سر تحقيق السعادة والوصول إلى الخير، وهى أساس المبدأ العام الذى وضعه سقراط، وهو أن الأخلاق تقوم على العلم، ومن ثم كان معياره الخلقى هو أن الفضيلة علم[١]. فالفضيلة هى ثمرة العلم وهى قائمة على المعرفة. وكان إيمان سقراط بهذا المبدأ عظيمًا حتى إنه جعل الشجاعة وهى أبعد ما تكون عن العلم – مرتكزة عليه، فهو يرى أن أشجع الناس من يعرف الخطر ويعرف وسائل مقاومته[٢].

نقد سقراط للأخلاق عند السوفسطائيين:

هاجم سقراط مذهب السوفسطائيين فى الأخلاق وفى المعرفة، إذ يؤكدون أن الفضيلة هى اللذة، وأن للإنسان الحق فى أن يعمل ما يحقق له اللذة، ويجد فيه المتعة وبذلك ينكرون القانون الأخلاقى، ويجعلون هذا الحق نسبيا، كما يعتبرون الفضيلة أمرا شخصيا والأخلاق بلا قانون وهذا ما اعتبره سقراط غاية الجهل، إذ يؤدى إلى هدم الأخلاق والمجتمع ولذا عمد سقراط إلى تحديد الفضيلة وقال بوجود ماهية خاصة بها يكتشفها العقل الذى هو قاسم مشترك بين الناس.

كما عارض سقراط ما ذهب إليه السوفسطائيون من حرية القول وحرية العمل معًا، ومن أن كل إنسان يرسم لنفسه قانون للسلوك خاصا به، يأتى وفقًا لذوقه وحاسته وأحقاده، وحسب مقتضيات الحياة الخاصة والعامة

---

(١) راجع: د. على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى عند اليونان، ص ٢٥٤، وراجع: يوسف كرم مرجع سابق، ص ٥٣.

(٢) راجع: عبد الرحمن بدوى. أفلاطون، مرجع سابق، ص ٤٥.

ولغاية فردية دائمًا. وذهب سقراط إلى ضرورة وجود معيار عام وتصور عقلى كلى يمكن الحكم من خلاله على أخلاق الإنسان وسلوكه. وكانت بحوثه الأخلاقية موجهة لاكتشاف معايير أخلاقية كلية ثابتة.

كما نقد سقراط ادعاء السوفسطائيين المعرفة وأنهم يعلمون الفضيلة، وقرر وجهة نظره أنه لا يعلم شيئًا، وأنه أعلم من غيره فى شىء واحد وهو علمه بأنه لا يعلم شيئًا وأن الشخص الذى يمتلك علمًا لا يستطيع أن ينقله لغيره وهو يرى أن البحث عن المعرفة أهم ما يهم به الإنسان، فلا يحتاج الناس سوى المعرفة لكى يكونوا جميعًا على فضيلة كاملة، والمعرفة ليست مستعصية على التحصيل(١). يقول سقراط فى محاورة مينون "إنه ينتج أن الفضيلة لا تأتى بالطبيعة ولا بالتعليم، وإنما هى نصيب إلهى يلقى من غير العقل إلى من تلقى إليهم"(٢). ومن هنا نرى أن فحص سقراط للناس كان رسالة من السماء، كما كان يلهمه صوت إلهى يحذره من الأفعال الخاطئة(٣).

ويختلف سقراط أيضًا عن السوفسطائيين فيقدم لنا أخلاقًا عملية تقوم على العقل والفكر النظرى مقابل الأخلاق العملية التى تتجه نحو النفعية والواقعية حيث كانت كلمة المفيد والنافع معيارًا للقيم والأخلاق عندهم. غير أن سقراط طالب بأن يكون للأخلاق علم يبين حقيقة الفضيلة.

---

(١) راجع: رسل، مرجع سابق، ص ١٥٦، ١٥٧، وراجع: الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

(٢) أفلاطون، محاورة مينون، ترجمة د. عزت قرنى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٢٥.

(1) Thomas Mautner, Ibid .

وهو بذلك يخالف مذهب بروتاجوراس الذى يرى أن الخير يعتمد على اللذة. وينتقد سقراط هذا المذهب مبيناً أن اللذة لا يمكن أن تكون هى الخير البشرى الحق والوحيد، ما دامت اللذة الخالصة لا يشارك فيها العقل ولا المعرفة فهذه حياة غير إنسانية. فمن الضرورى أن يمتزج الشعور باللذة بالنشاط العقلى كى نحصل على الحياة الخيرة للإنسان(١).

ويطلب سقراط الخير المطلق بمعناه الكلى الذى يمكن أن يكون معيارًا ثابتًا للأخلاق فى أى مكان أو زمان. كما ينتقد سقراط المذهب السوفسطائى فى أن الفضيلة والأخلاق يختلفان باختلاف المدن والتقاليد والأعراف السائدة فى كل مدينة ويصف سقراط تلك الفضيلة بأنها الفضيلة الشعبية وهى تختلف عن الفضيلة الفلسفية التى يبتغيها، وينظر إلى أن الفرق بينهما هو الفرق بين الأصل الحقيقى ومحاكاته(٢).

نقد سقراط للألفاظ والمفاهيم الشائعة عن الفضيلة: لقد انتقد سقراط السوفسطائيين فى إقرارهم المفهومات الشائعة المتعلقة بالفضيلة ووصف تلك المصطلحات الشعبية بأنها مفهومات مبهمة وغير مترابطة ومتناقضة.

ويختلف سقراط مع السوفسطائيين فى أن الفضيلة تقوم على أساس العقل والمعرفة التى يشترك فيها جميع الناس غير أنه لاحظ أن استخدام الناس – خاصة السوفسطائيين – للمصطلحات الأخلاقية العامة مثل العدالة وغيرها(٣). بحرية تامة تنم عن معرفتهم بمعانيها الحقيقية وإن كانوا لا

---

(١) راجع: كوبلستون، مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٢) راجع: د. أحمد فؤاد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(3) Fontoima Dictionary of Modern Thought. second Edition. 1997 P. 450 .

يستطيعون التعبير عنها، وقد اكتشف سقراط ذلك بنفسه حين حاورهم وتبين له جهلهم. ولذلك يعارض سقراط السوفسطائيين فى طريقة استخدامهم للألفاظ مبهمة المعنى، والمصطلحات العامة التى لا تعنى شيئًا. أو تعنى أمورًا حسية تختلف باختلاف الأفراد الذين يستخدمون نفس الكلمات رغم أنها تعنى أمورًا مختلفة بالنسبة لهم.

ولذلك يتحدثون بكلمات تحمل معانى متعارضة ومتناقضة مما يسفر عن نوع من الخلط والاضطراب الأخلاقى والفكرى يؤدى إلى التحدث عن شيئيين مختلفين تمامًا، كما يحدث فى معظم الأحيان. وهنا يعترض سقراط على مذهب هيرقليطس فى تطابق التناقضات وإثباته للتغير المستمر، فكل شىء يتغير بمعنى واحد، ولكن يظل كما هو بمعنى آخر.

كما ينتج عن ذلك عدم التواصل بهذه المصطلحات. فالمناقشة الفعلية بين أناس لديهم مدلولات ومعانٍ مختلفة لنفس المصطلحات العامة تؤدى إلى نشوب الخلافات والصراعات كما تؤدى إلى فوضى أخلاقية خاصة إذا كانت هذه المصطلحات تعبر عن أفكار أخلاقية، ومن ثم فلا بد من تحديد مفهوم هذه المصطلحات الأخلاقية وماهيتها وهذا ما دفع سقراط إلى قوله بأن الفضيلة علم. فلا أحد يفعل الشر بإرادته، والإنسان إذا ما أدرك الحقيقة فإنه بالضرورة سوف يختار الطريق الصحيح بطريقة آلية[1].

---

(١) راجع: و. ك . س جثرى، الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، ترجمة د. رأفت حليم، الطليعة سنة ١٩٨٨، ص ٨٦ – ٨٧.

ومن هنا كان سقراط دائم السؤال ليصل إلى تحديد ماهية الفضيلة التى كانت إرهاصًا فى المنطق. ولكنها فى الواقع كانت الطريق الوحيد الذى استطاع سقراط أن يواجه من خلاله التأثيرات المدمرة للسوفسطائيين على الأخلاق. ولذا بحث سقراط عن المعيار العقلى والكلى الذى يصبح أساسًا ثابتًا لجميع الأشياء. خلافًا للسوفسطائيين الذين لا يوجد لديهم معايير متعارف أو متفق عليها يمكن تطبيقها بوصفها مبادئ كلية أو مصادر للسلوك بدلاً من المنفعة.

نقد سقراط للفضيلة عند السوفسطائيين: ونقد سقراط السوفسطائيين لاقتناعهم بالمفاهيم الشعبية عن الفضيلة[١]. وأكد أن الفضيلة علم وأن اكتسابها أمر ليس متروكًا للمصادفة، بل يمكن تحقيقها عن طريق العلم والمعرفة العقلية اللذين هما طريق لتطهير النفس، وبهذا فقد أحل سقراط العلم محل معتقدات الديانة السرية كالأورفية وغيرها[٢].

ويرى سقراط أن ثمة علاقة وثيقة بين الفضيلة والمعرفة وهو ما يميز الأخلاق فى الفكر اليونانى عنها فى المسيحية التى تجعل القلب النقى هو الأساس الجوهرى، وهذا القلب قد يوجد فى الجاهل كما يوجد فى العالم[٣]. كما عارض سقراط بشدة النظرية الأبستمولوجية التى شملت الأخلاق والسياسة وكان فيها الخير والشر هما مقياس الصواب والخطأ، وكانت

---

(١) راجع: كوبلستون، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٣) راجع: رسل، مرجع سابق، ص ١٥٧.

الحقائق فى مجال المعرفة نسبية متغيرة وليست مطلقة ثابتة، كما كانت القيم والمبادئ فى مجال الأخلاق نسبية متغيرة بتغير الزمان والمكان وتختلف باختلاف الظروف والأحوال. ولم يكن فى هذه النظرية مكان للمطلق والثابت والكلى. ولطالما حاول سقراط أن يرشد الناس إلى أن الحياة والأخلاق الإنسانية ليست متروكة للأهواء وأنها تقوم على أسس وقواعد ثابتة وأنها تنهض كلية على التفكير والمعرفة، والفضيلة علم والقوانين الأخلاقية تعتمد على أصل ثابت فى بناء الفرد والمجتمع، وكان سقراط يريد أن يقود أتباعه إلى وجود حقيقة ثابتة ومستقلة عن الأشياء مع وجود نظام للآداب الصالحة والسلوك الفاضل مع وجود نظام للخير يجعل من هذه المبادئ نسقًا متماسكًا يربط فيما بينها.

وكان سقراط قوى الإيمان بالفعل شديدًا فى حبه للخير خلافًا للسوفسطائيين ولذلك نراه، يوجه نقده للسوفسطائيين وبخاصة بروتاجوراس الذى ذهب إلى أن الفضيلة ليست بعلم ولكنها مكتسبة ويمكن تعليمها للغير، وخلافًا لذلك أثبت سقراط هذا المبدأ الذى يعد أول من قال به وهو "الفضيلة علم والرذيلة جهل"(١).

وهنا يؤكد – سقراط خلاف السوفسطائيين – دورَ المعرفة فى الفلسفة الخلقية إيمانًا منه بضرورة العلم بالطبيعة الإنسانية مع فهم طبيعة الخير وبأنها شرط أساسى لممارسة حياة الفضيلة.

---

(١) راجع: أميرة مطر المرجع السابق، ص ١٥٥، وانظر: يوسف كرم، مرجع سابق، ص ٥٣.

إن الفضيلة هى العلم، و بغير العلم لا يتم العمل، وحيث يوجد العلم يوجد العمل، فأثبت القضية الأولى وهى أنه لا عمل بدون العلم، وبأن قال: إن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى غايته التى يهدف إليها إلا إذا كان عالمًا بالوسائل الفردية إلى هذه الغاية، فتحقيق الغاية إذًا – وهو العمل – يقتضى أولاً معرفة الوسائل التى تؤدى إلى هذا التحقيق، أى أن العلم سابق على العمل.

كما أثبت القضية الثانية وهى أنه لا يمكن أن يوجد علم قط بدون أن يستتبع ذلك عملاً، بأن قال: إن الإنسان لا يمكن أن يفعل الشر وهو عالم بأنه يفعل الشر، وأن الإنسان ليس شريرًا بطبعه، وإنما مصدر الشر هو الجهل[1]، ولهذا فإن الإنسان إذا علم بأن هذا الشيء نافع له ومفيد فإنه لا بد أن يعمله ولا يؤجله، فى حين إذا حدث العكس ترك الإنسان الفعل الذى يجلب عليه المضرة، وهذا العلم فوق كل الشهوات والأهواء التى يمكن أن تصطرع حقه، ومعنى هذا أنه متى يوجد العلم يوجد العمل قطعًا.

ومعنى هذا أن المعرفة عند سقراط ليست غاية فى حد ذاتها وإنما كانت من أجل تحقيق غاية أرفع هى الفضيلة وكما يعتقد فى وجود غاية محددة للسلوك الإنسانى، وهو بذلك يؤكد على الطابع العملى الذى ارتبط بنزعته العقلية [2].

---

(1) Oxford, Dictionary of philosophy sin on Black burn. Oxford University, press, 1996 , P. 356 .

(٢) انظر: عبد الرحمن بدوى، مرجع سابق، أفلاطون ص ٤٤، راجع كريسون، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ص ٤٤.

ولكن ما ماهية العلم؟ يجيب سقراط بأن الفضيلة هى الخير، وهذه إجابة عامة عقلية وصورية، والعلم هو تحقيق ماهية الشىء كما هى فى طبيعته.

تطلب معرفة ما هو الخير؟ الخير فى نظر سقراط هو ماهية الشىء بوصفه غاية، رد فعل الخير فكل شىء يرتد فى النهاية إلى الماهية ومن ثم إلى العلم[١] فغاية الفضيلة دائمًا هى إدراك الخير ومعرفة أين يكون، فالفضائل لا تكون فضائل ما لم يصحبها تعقل للخير الذى تؤول به على النفس البشرية. وهذا هو خلاصة وجوهر محاورة بروتاجوراس التى خصصها أفلاطون لمناقشة نظرية سقراط فى الفضيلة [٢].

والمقصود بالعلم هو معرفة ماهيات الأشياء، وإذا تحقق هذا العلم للإنسان فإنه لا يحقق له إلا كل خير، لأن الإنسان إذا أدرك مطامحه الغريزية يجد أن هذه الطبيعة لا تهدف إلا إلى سعادته. ويرى سقراط أن السعادة هى التوافق بين غايات الإنسان ورغباته وبين الظروف التى يوجد فيها، يقول سقراط: " إذا وجدت ما يلزمك بدون أن تبحث عنه فذلك ما أسميه الحظ السعيد، أما إذا كنت مدينًا بالسعادة إلى عنايتك وبحثك، فهذا فيما أرى، هو السلوك الحسن، والسعداء بهذه الكيفية هم حقًا المحسنون ".

لا يحقق الإنسان السعادة إلا إذا التزم ببعض الأمور الأخلاقية وهى إدراك الفرد لذاته وأن تكون غايته أن يكون فردًا مستقلاً مكتفيًا بذاته وليس

---

(١) راجع: عبد الرحمن بدوى، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) راجع: أميرة مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، مرجع سابق، ص ١٥٧.

ممتدا لشيء آخر، ولكن لا بد من انسجامه مع غيره عن طريق صداقته لهم واتصاله بهم وحواره معهم، لأن العلم يتأتى بالحوار ويتم بالصداقة بالحب المتبادل الذى يعنى الرغبة فى نفع الغير والانتفاع بما يقدمونه[١].

كما أنه كى يحقق الإنسان السعادة فلا بد أن يؤدى واجبه تجاه وطنه ونحو الدولة وأن يطيع القوانين والتى يعد بعضها مقياسًا الفضيلة، وعليه فإن تحقيق الإنسان للسعادة والوصول إلى الخير هو نتيجة لمعرفة الإنسان لنفسه ومعرفة ما ينبغى عليه أن يلتزم به.

وعلى الرغم من الانتقادات التى يوجهها سقراط للسوفسطائية إلا إن نظريته الأخلاقية والمبدأ الذى تبناه وهو أن الفضيلة علم لا يخلو من نقد يوجه إليه افتراضه أن العلم يستلزم العمل وأن من يعلم الفضيلة يعلمها ومن يجهلها لا يؤديها افتراض خطأ بشهادة الواقع فهناك من يعلم الفضائل ولا يعلمها ولا يعمل بها، وهناك من يحملون الفضائل لكنهم يطبقونها فى تعاملاتهم، وهذا الواقع يدحض تعميم سقراط بأن كل العلماء فضلاء، وكل الجهلاء رذلاء.

كما أن قصر سقراط الفضيلة على العلم يوجب ضرورة عمل الإنسان لما يعرفه، على حين أن الإنسان غالبًا يعمل ما يريده، فالإرادة الإنسانية أمر ضرورى فى عمل الإنسان، ورغم ذلك أهملها سقراط رغم أنها أساس الفعل الأخلاقى. كان هذا سببًا لمعارضة رجال المسيحية لنظرية سقراط الأخلاقية، لأنهم يذهبون إلى أن "معرفة الخير" لا تكفى وحدها لحث

---

(١) راجع: د. عبد الرحمن بدوى، نفس المرجع، ص ٥٢.

"الإرادة" على فعل الخير أو لتوجيهها نحو ممارسة حياة الفضيلة[1]. وعلى هذا فإننا لا نجد للإرادة أى دور فى تحقيق السلوك الخير عند سقراط. كما أن كثيرًا من الناس يعرفون وصايا الله وأوامر الأخلاق لكنهم يخالفونها أو يخرجون عليها بسبب ضعف الإرادة البشرية من جهة وقوة الشر من جهة أخرى. كما أن سقراط فى مبدأ "الفضيلة هى العلم والرذيلة هى جهل" يفترض النية الطيبة فى الإنسان، ويفترض أن الإنسان لا يتجه إلى الشر إلا إذا كان جاهلاً به، غير أن نية الإنسان قد تتحول عن غايتها النبيلة بدون جهل، وقد تكون قاصدة للشر مضمرة له. وهذا لأن الإنسان يمتزج فى طبعه باتجاهى الخير والشر وإن اختلفت نسبتهما من شخص إلى آخر ولكن الإنسان عند سقراط يريد الخير دائمًا فمن تبين ماهيته كإنسان وعرف خيره بما هو إنسان أراد الخير بالضرورة.

وهكذا اصطدم سقراط صدامًا حادًّا مع معاصريه، إلا أنه ظل على مستوى الفكر حيث لم يرتكب فعلاً عدائيًّا ضد المدينة، ويختلف سقراط مع السوفسطائيين فى أمور كثيرة منها: دعوتهم إلى المساواة بين البشر، وعلى اتفاق المحكومين على أمور مجتمعهم إذ يعد أنطيفون السوفسطائيين أول منظّر لدولة الرفاهية فى التاريخ وقد سبق بذلك إعلان الاستقلال الأمريكى[2].

---

(١) راجع: د. ذكريا إبراهيم: المشكلة الخلقية، مكتبة دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٤٩.

(٢) أى. اف. ستون، محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ١١.

كما نقد سقراط هيبياس وبرديقوس من ذوى النزعة الطبيعية عند السوفسطائيين دعوتهم إلى الأخوة العالمية والتى كانت أساسًا للمساواة الطبيعية بين البشر مما يترتب على ذلك إلغاء نظام المدينة فى الوقت الذى كان سقراط يحترم نظمها ويخضع لقوانينها.

ومن ثم عارض سقراط السوفسطائيين الذين كانوا يدعون إلى الخروج على القوانين أو حتى محاولة تغييرها لكى تسمح للمواطن بتأكيد فرديته أمام الدولة[١].

عارض سقراط السوفسطائيين لتقاضيهم أجرًا مقابل تعليمهم الناس، ولذا قدموا العلم لكل من أعطاهم أجرًا وأشاعوه بين مختلف فئات المجتمع[٢] ، ويذهب سقراط إلى أن الإنسان الذى يملك العلم لا يستطيع أن يعلمه لغيره، ولذلك لا يستحق أجرًا إذ كيف يتقاضى أجرًا على شىء يعترف أنه لا يملكه، فقد أثر عنه أنه لا يعرف إلا شيئًا واحدًا وهو أنه لا يعرف [٣] فالخبراء فى الخير هم الذين يملكونه وليس الذى يعلمونه.

وأيضًا رفض سقراط طريقة السوفسطائيين فى التعلم إذ يرى أنهم لا يملكون غير كم من المعارف مع التدريب على براعة الحديث، فهم معلمون محترفون وليسوا بأفضل من غيرهم[٤].

---

(١) راجع: د. أميرة مطر، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٢) راجع: د. أميرة مطر، ،نفس المرجع، ص ١٢٢.

(٣) راجع: د. أحمد الأهوانى، ،فجر الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(٤) نقلا عن: كورامبسن، مرجع سابق. ص ٨٩.

ومع ذلك فإن السوفسطائيين قد أثاروا مشكلات واقعهم الفكرية وتناولوها بالتحليل والنقد حتى تبين لهم أن قوانين الطبيعة أكثر نظامًا من قوانين المجتمع المدنى ونظمه على حين أن التغييرات التى ظهرت أفقدت النظم والتقاليد القديمة ثباتها وتماسكها.

نقد النقد السقراطى:

- صورة ذاتية من صور النقد.
- زعم السوفسطائيون أنهم معلمون، لكن سقراط استطاع بسلسلة من الأسئلة أن يجبر أحدهم وهو بروتاجوراس على الاعتراف بأن جميع التعلم ما هو إلا تذكر.
- ينتهى إلى نتائج أكثر مما يجب أن تصل إليه عن طريق السؤال والجواب ذلك أن الجواب يبدوا دائمًا أنه يختلف اختلافا تاما عما يعنيه السؤال.
- هذا وأن معرفة الخير عند سقراط ليست كافية فى الحمل على فعله بل لا بد أن ينضم إليها إرادة قوية حتى يعمل على وفق ما علم.

وهكذا يكشف المضمون السياسى والاجتماعى لفلسفة سقراط عن اختلاف كبير بينه وبين السابقين عليه ومعاصريه فى النظرة العامة للطبيعة وللحياة البشرية حيث قد تحول ميدان الفلسفة من الطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان ليتغير مضمونها تمامًا ليصبح نظريًا وهو ما يتعلق بالفحص وعمليًا وهو ما يرتبط بالحث على الفضيلة. ولذلك كان من الاختلافات الأساسية بين سقراط ومعاصريه حثه على الفضيلة التى لم تكن محببة لدى اليونانيين.

وقد رفض سقراط فكرة الطبيعة لأن الأشياء لا يمكن تفسيرها بالعناصر المادية التى تتركب منها ومن ثم عارض كل فلسفة آلية فى تفسير العالم، بل إن العقل يخضع فى سيره لعقل إلهى منظم لكل الأشياء. ولذا بذل سقراط جهودًا لتطهير الدين وتنقيته بإرجاعه إلى عناصره العقلية والأخلاقية فربط الإله بمفاهيمه عن الأخلاق والحكمة والفلسفة.

ولذلك كان سقراط خير منفذ لأقواله. فقد طبق نظرياته فى الأخلاق والعلم والسياسة على نفسه فنراه قد اشترك فى الحروب البلوبنيزية التى قامت سنة ٤٠٣ ق.م.

هذا ويستند السلوك الأخلاقى عند سقراط إلى العقل والدين معًا خلافا للسفسطائيين لاستنادهم على الفن غير أن سقراط اتخذ سقراط موقفًا نقديًا من الفن تمثل فى اتجاهه العقلى والأخلاقى الذى اتجه به نحو تحقيق غاية أخلاقية مع طرح كل القيم المادية المفرطة التى كانت سائدة فى عصره. ولذا أغفل العلم الطبيعى وحصر دراسته فى مسائل الأخلاق بحثًا عن التعريف العام الذى كان عاملا مهما فى تطوير علم المنطق .

وعليه فإن تاريخ البحث عن التعريف عند سقراط يمثل بصورة مصغرة تاريخ الفلسفة فنحن فى كل عصر نعود إلى نفس البدايات والإجابات التى صاغها سقراط وغيره من فلاسفة اليونان.

هذا وتكشف نظرية سقراط فى النفس عن مضمون أخلاقى مستمد مما يترتب على هذه المعرفة بالنفس من توجيه لحياة الإنسان وسلوكه. فنقطة البدء فى فلسفة سقرَاط هى البحث فى المعرفة. فالأخلاق لا تقوم إلا إذا سبقها العلم، فالفضيلة تقوم على العلم، الذى لا بد أن يكون له موضوعًا

محددًا كليًا لا جزئيًا شريطة أن يكون كل علم نتيجة لإجراء منهجى. وهنا وجه سقراط وجهة نظر الفلاسفة إلى البحث فى معرفة الماهيات أو المدركات العقلية ولذلك رأى أن الخبراء فى الخير هم الذين يملكونه وليس الذين يعلمونه.

ولذا كان سقراط يختبر الناس فى صيغ الخير نفسها التى كان يحب أن يعرفوا أكبر قدر منها ومن ثم فإن سقراط كان يبحث حيثما ذهب عن خبير فيختار الرجل الصحيح ليوجه إليه السؤال، ولذا لم يكتف سقراط بطرح الأسئلة حول السلوك اليومى وإنما كان فيلسوفًا ميتافيزيقيًا وضع أسس الفلسفة الترانسدنتالية التى تتميز بوجود عالم المثل.

كما حاول سقراط هدم النظرية السوفسطائية فعمل على تحليل بعض المفهومات والمصطلحات الأخلاقية ووصل بالعقل إلى القيم المطلقة فى مجال الأخلاق والتى قامت على أن الفضيلة مبدأ إنسانى فالفضيلة هى العلم، وأن التقوى هى العلم بما يجب على الإنسان نحو الإله، وأما العدالة فهى العلم بما يجب عليه نحو الآخرين.

ومن هنا فإن سقراط يختلف مع السوفسطائيين فى مذهبه ولكنه يتفق معهم فى موضوع الفلسفة. غير أن ما كان يشغل سقراط أقرب إلى مبادئ الأخلاق منه إلى قواعد العلم، ولذلك كان يهدف إلى استخراج المعرفة من نفس سائله، بيد أن نقده كان منصبًا على طرح السؤال. ويساعد هذا البحث من خلال ما قدمه من مادة فلسفية للمهتمين بقضايا النقد الوقوف على سقراط الناقد فى عصر اشتد فيه الصراع بين جمود الرأى وحرية الفكر مع تعظيم القديم وتقديس التقاليد.

فاستقل سقراط برأيه واستطاع أن يجد حلا بمفرده ودفع حياته ثمنًا لحرية الفكر. كما يفتح هذا البحث بابًا للموازنة بين الحياة فى أثينا والحياة المعاصرة التى يحياها الناس فهناك الكثير من المشاكل التى نلمسها فى كل عصر من العصور ونراها ماثلة على مدى الأيام والدهور، ولذا نأمل أن ينهض شبابنا كما نهض سقراط باعتباره بشرًا مر بمراحل النمو والتطور منذ كان يعمل نحاتًا إلى أن أصبح معلمًا وفيلسوفًا ناقدًا ومجددًا يتساءل عن الحق، ويبحث عن الحقيقة ولا يمتلكها متجهًا نحو المثل العليا والمبادئ الرفيعة التى ضحى من أجلها، ورغم التطورات التى طرأت طوال الأربعة والعشرين قرنًا الماضية فإن فكره يعيش معنا ومنهجه يستحث فينا الهمة للنهوض بالبشرية والارتقاء بالنفس الإنسانية. ومن ثم يجب علينا أن نفهم ألفاظه اليوم كما فهمها أصدقاؤه فى عصره.

وهكذا يمكن القول إن سقراط أفنى حياته فى ملاحقة مواطنيه والإصرار على سؤالهم، فكان يحاورهم فى كل الأماكن تنفيذًا لإرادة الآلهة حيث كان يعتقد أنه مهتد بصوتٍ إلهى مقدس وعليه رسالة دينية يجب أن يؤديها، ومن ثم فعلى الإنسان أن يعرف نفسه لأن معرفته هى أساس الفضيلة والفضيلة هى أساس السعادة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- أرسطو، كتاب النفس، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٤٩

٢- أفلاطون، الدفاع، ترجمة د. زكى نجيب محمود فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ .

٣- أفلاطون، أوطيفرون، ترجمة، د. زكى نجيب محمود، فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦ .

٤- أفلاطون: ثياتيتوس، ترجمة د. أميرة مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٥- أفلاطون، فيدون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، فى (محاورات أفلاطون) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

٦- أفلاطون، محاورات ونصوص، فايدروس، ثياتيتوس، ترجمة د. أميرة مطر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

٧- أفلاطون، محاكمة سقراط، محاورات أفلاطون، ترجمة د.عزت قرنى، دار النهضة العربية، القاهرة .

٨- أفلاطون، محاورة مينون، ترجمة د. عزت قرنى، بدون تاريخ .

٩- أفلاطون، محاكمة سقراط فى (محاورات أفلاطون) ترجمة د. عزت قرنى، القاهرة ١٩٧٣.

١٠- أفلاطون، محاكمة سقراط فى (محاورات" أوطيفرون، الدفاع، إقريطون") ترجمة د. عزت الطبعة الثانية، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٢.

١١- أفلاطون، محاورة فيدون، ترجمة د. عزت قرنى، الناشر مكتبة الحرية الحديثة القاهرة، ١٩٧٥ .

ثانيًا: المراجع العربية:

١- د. أحمد فؤاد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية – قبل سقراط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥٤.

٢- د. الصاوى أحمد، المنهج النقدى بين الفلسفة والدين- الجمعية الفلسفية المصرية، بحث ضمن العدد الحادى عشر، القاهرة، ٢٠٠٢.

٣- د. أحمد محمود صبحى، فى فلسفة الحضارة، الحضارة الإغريقية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، بدون تاريخ.

٤- د. أميرة مطر، دراسات فى الفلسفة اليونانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠.

٥- د. أميرة مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٨.

٦- د. أميرة مطر، محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس – ثياتيتوس، دار المعارف، القاهرة ط ١، ١٩٨٦.

٧- د. أميرة مطر – فلسفة الجمال (أعلامها ومذاهبها) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٨- آى. أف. ستون، محاكمة سقراط، ترجمة نسيم مجلى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

٩- إنزيك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبى، ترجمة د. الطاهر أحمد مكى، دار المعارف، القاهرة، ط ٢ .

١٠- ألبير ريفو. الفلسفة اليونانية، أصولها وتطوراتها، ترجمة د. عبد الحليم محمود، د. أبو بكر ذكرى، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٥٨.

١١- براترند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، ترجمة د. زكى نجيب، ط٢ لجنة الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.
١٢- توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق، نشأتها وتطورها، ط ٤، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩.
١٣- ثيوكاريس كيسيدس، سقراط، ترجمة طلال السهيل، الفارابى، ١٩٨٧.
١٤- جورج طرابيش، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
١٥- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، القاهرة، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية القاهرة، ١٩٧٥.
١٦- زكى نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.
١٧- ستيفن ديلو، التفكير السياسى والنظرية السياسية والمجتمع المدنى، ترجمة ربيع وهبة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٨- شوقى ضيف، فى النقد الأدبى، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١.
١٩- مراد وهبة، مدخل إلى التنوير، دار العالم الثالث، مصر، ١٩٩٤.
٢٠- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ترجمة د. إمام عبد الفتاح، المجلد الأول، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢.
٢١- د. عبد الرحمن بدوى، ربيع الفكر اليونانى، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٦.
٢٢- فليب ويلرايت، هيراقليطس، ترجمة عبده الراجحى، ضمن كتاب هيرقليطس فيلسوف التغير، د. على النشار دار المعارف، القاهـــرة، ١٩٦٩.

٢٣- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، الطبعة الخامسة، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.
٢٤- ك . س . جثرى، الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو، ترجمة د. رأفت حليم سيف، الطليعة، ١٩٨٨.
٢٥- عزت قرنى، محاكمة سقراط، فى (محاورات أفلاطون) دار النهضة العربية، القاهرة.
٢٦- د. مصطفى النشار، فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها فى الفلسفة الإسلامية والغربية، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٨٤.
٢٧- عبد الرحمن بدوى ، أفلاطون، الكويت، ١٩٧٩.
٢٨- د. على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس إلى أفلاطون، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٧٢.
٢٩- عزت قرنى، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، الكويت، ١٩٩٣.
٣٠- د. عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
٣١- نوال الصايغ، المرجع فى الفكر الفلسفى، نحو فلسفة توازن بين التفكير الميتافيزيقى والتفكير العلمى ، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٣.
٣٢- وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤.
٣٣- د. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى، الطبعة الثانية، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠.
٣٤- د. إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلى عند هيجل، دار المعارف، مصر. ١٩٦٨.

٣٥- د. أميرة مطر، الفلسفة عند اليونان، النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٦.
٣٦- د. إمام عبد الفتاح، مسيرة الديمقراطية، الطبعة الثانية، دار الحكمة، الكويت ٢٠٠٠.
٣٧- د. زكى نجيب محمود، أحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة الثامنة، النهضة المصرية، القاهرة ، بدون تاريخ.
٣٨- د. حربى عباس، الفلسفة اليونانية من مرحلة الأسطورة إلى افلاطون، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٨.
٣٩- د. عزت قرنى، تطور مفهوم اليقين فى فلسفة أفلاطون (فيليبوس) حوليات كلية الآداب، الكويت، الحولية الثانية والعشرون، مجلس النشر العلمى ٢٠٠٢.
٤٠- ناجى التكريتى، الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكرى الإسلام، الطبعة الثانية دار الأندلس، بيروت ١٩٨٢

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- Aristotle, De Anima with Commentary of st Thomas Aquinas Rutledge London, 1959.
2- Allen studies in the presocratic philosophy p.21.
3- Burnet: the Socratic of the soul, Bristish Academy 1987.
4- Cornford, plato and Parmenides, London, 1939.
5- Hegel. History of philosophy. vol. I
6- kirk&Raven :The presocratics of philosophyers, Aselection of texts, Cambridge university,1969
7- Plato,Apology,the works of plato selected and ediled by liwin,the modern library, new york1956
8- Plato: meno,80.
9- Oxford Dictionary 8 Philosophy, Simon Black burn,Oxford University, Press 1996.
10- T. Oizer man , problems of the history of philosophy.
11- Tomas Moutner: Dictionary of philosophy, penguin Books,1997.